فصل

أصول أهل الأهواء

فاعلموا أيها الإخوان: أن أصول أهل الأهواء ستة أصناف؛ يتشعب منها اثنان وسبعون صنفًا، كلهم مبتدعة ضالة مفارقة للجماعة، ومعادهم النار يوم القيامة إلا أن يشاء الله تعالى أن يخرجهم من النار بتوحيده.

وأما الأصناف الستة يتشعب الأهواء منها: أولهم الحرورية، والروافضة، والقدرية، والجبرية، والجهمية، والمرجئة، فمنها يتشعب اثنان وسبعون فرقة.

أما الحرورية التى اجتمعت بحروراء فى صدر خلافة على بن أبى طالب رضي الله عنه، فأفناهم الله تعالى على يد إلا القليل، وأصل دعواهم؛ أنهم شهدوا على على بن أبى طالب رضي الله عنه بالكفر، وتبرؤوا منه، ودعوا الناس إلى البراءة والإكفار له؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن النبى ﷺ قال: «صنفان من أمتى ليس لهم فى الشفاعة نصيب؛ الحرورية والقدرية»(١).

ومنهم الأرزقية: وهم الذين قالوا: لا نعلم أحدًا مؤمنًا؛ لأن رسول الله ﷺ قبض، وقد انقطع الوحى بالأخبار.

وقالوا: الإيمان قول بلا عمل. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان قول، والعمل شرائعه.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ٦/ ٩٦، واللالكائى ٤/ ٦٤٢ .

وقال النبى ﷺ فى حقهم أنهم: «كلاب النار»[١].

وقال عبد الله بن أبى أوفى: «لعن الله تعالى الأرزقية»[٢].

والإباحية: وهم الذين قالوا: إن الأموال كلها على الإباحة، وكذا الفروج. ولذلك كانوا من أهل النار؛ لأنهم أحلوا الحرام.

قال قتادة: هؤلاء الإباحية مجوس هذه الأمة.

والتعلبية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى شاء أعمال العباد، ولكن لا يخلق، ولا يقضى، ولا يقدر.

وقالوا: لا نشهد على الأطفال بالإيمان ولا بالكفر إلا عند الإدراك.

وهم يأخذون الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا وإعطائهم منها إذا افتقروا. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن من أعمال العباد لا يكون شيئًا إلا أن يشاء الله تعالى ويخلقه كما قال تعالى فى سورة والصافات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣].

ومحال أن يكون أحد من بنى آدم ليس بمؤمن ولا كافر، كما قال الله تعالى فى سورة التغابن[٤]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ من نفس واحدة ﴿فَمِنكُمْ﴾؛ أى: بعضكم ﴿كَافِرٌ﴾ بخالقه، ﴿وَمِنكُم﴾ -أى بعضكم- ﴿مُّؤْمِنٌ﴾ بخالقه، وقدم الكفر لكثرته، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) رواه الحاكم ٢/ ١٦٣، وابن ماجه من حديث ابن أبي أوفى ١/ ٦١ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) سورة الصافات: آية ٩٦ .

(٤) سورة التغابن: آية ٢ .

﴿بَصِيرٌ﴾ أي: عالم بكفركم وإيمانكم الصادرين منكم.

بل نشهد على الأطفال بالإيمان؛ لأنهم كلهم أقروا يوم الميثاق، وذلك كان منهم إيمانًا، ويولدون على الفطرة؛ أي دين الله تعالى؛ «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»(١).

والحازمية: وهم الذين قالوا: إن الإيمان مجهول، وقالوا: إن كلهم معذورون إلى أن تبلغهم الدعوة. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان كلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ وليس أحد معذورًا من بنى آدم بقول التوحيد.

كما قال الله تعالى فى سورة الأنبياء(٢): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ ﷺ -بالياء مجهولًا، وبالنون معلومًا على التعظيم؛ أى نحن ﴿إِلَيْهِ﴾ كما نوحى إليك- ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وحدونى ولا تشركون. وليس أحد من الكفار إلا وقد بلغته الدعوة وإن لم تبلغه دعوة، محمد ﷺ.

والخليفية: وهم الذين قالوا: لا يجوز لأحد من المدركين القعود عن الجهاد؛ ذكرًا كان أو أنثى، فمن فعل ذلك فهو كافر؛ لأن المؤمن لا يكون إلا عالمًا مجاهدًا.

ويرون الجهاد واجبًا على النساء، ومن بلغ منهم الموت يومى بحديدة إلى من عنده. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الجهاد فرض

---

(١) رواه البخارى بنحوه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبى فمات. هل يصلى عليه؟.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٥ .

على أهل اليسار والغناء، كما قال الله تعالى فى سورة التوبة[١]: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ -أى العقوبة- ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ -فى التخلف- ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾.

أى ذو سعة للخروج- ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ -بالمدينة- ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ -أى: ختمها بقهره- فلا يعملون ثواب الخروج وعقاب التخلف، وأما الفقراء والمستضعفون من الرجال والنساء والولدان فهم معذورون عن القعود.

والكوزية: وهم الذين قالوا: لا يجوز لأحد أن يمس أحدًا؛ لأنه لا يعرف أنه طاهر أو نجس.

وقالوا: لا يجوز أن يخالط أحدًا، ولا أن يأكل إلا أن يغتسل ويتوب. ومن ذلك يبولون فى الكوز، ويتخذون لذكرهم كيسًا، ويغتسلون في الماء كل وضوء.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لا بأس على الأمة أن يمس بعضهم بعضًا، أو يخالط بعضهم بعضًا؛ لأن المؤمن لا يتنجس بالمعصية، كما قال الله تعالى فى سورة النور[٢]: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أى لا بأس لكم ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾. وقال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[٣] فى الدين، ولو كان كما زعمت الكوزية؛ كان لا يجوز له الأكل مع أهله وخادمه، ولا المخالطة معهم.

---

(١) سورة التوبة: آية ٩٣ .

(٢) سورة النور: آية ٦١ .

(٣) سورة البقرة: اية ٢٢٠ .

والكثرية: وهم الذين قالوا: لا يجوز لأحد أن يفرق حقوق ما أوجب الله تعالى عليه فى ماله على أحد؛ إذ الخلق كفار. فإذا أعطيناهم الزكاة فقد أعناهم على المعاصى.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى أوجب علينا الصلاة والزكاة معًا، وجعلهما مقرونتين، كما قال الله تعالى فى سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١)، فمن فرق بينهما فقد خالف هذه الآية.

والشمراخية: وهم الذين قالوا: إن النساء رياحين لا بأس على من يشمهن بغير نكاح ولا ملك يمين.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لا يحل لأحد من النساء إلا أن ينكح بنكاح صحيح، أو يملك بملك يمين، ولا يحل لأحد بعد النبى ﷺ فوق أربعة نسوة، كما قال الله تعالى فى سورة النساء: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾(٢).

والأخنسية: وهم الذين قالوا: إن الأقلام جارية على العباد ما داموا أحياء مدركين، فمن مات منهم خفيت وطمست آثاره، فلا يلحق ميتًا خير ولا شر مما يترك بعده لا حجا ولا عمرة ولا من الآثار الصالحة. وهم يجوزون تزويج المسلمات من مشركى قومهم، وهم على أصول الخوارج فى سائر المسائل.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه غير الإيمان والكفر يلحق على

---

(١) سورة النور: آية ٥٦ .

(٢) سورة النساء: آية ٣ .

الأموات، كما قال ﷺ: «من سن سنة حسنة فى الإسلام كان له من الأجر بقدر من يعمل به، ومن سن سنة سيئة فى الإسلام كان عليه مثل وزر من يعمل به من غير أن ينتقص من من أوزارهم شيئًا»[١].

والمحكمية: وهم الذين قالوا: لا أمراء بعد الاختلاف إلى يوم القيامة، فمن تحاكم إلى مخلوق من قريش كان أو من غير فهو كافر؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة النساء[٢]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ فى الفرائض ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فى سننه ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعنى الأمراء ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ أى أختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من الشرائع ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أى: إلى كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ أى: نفسه.

أما كتاب الله تعالى فهو قائم، وأما الرسول ﷺ فقد قبض وسنته قائمة، وأما أولى الأمر فهو قائم ما دام هذه الأمة حيا.

وأما المعتزلة: وهم الذين قالوا: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبتون له المنزلة بين المنزلتين، وينكرون الحوض والشفاعة والميزان والصراط وعذاب القبر؛ ولذلك كانوا من أهل النار.

والميمونية: وهم الذين قالوا: إن الخير من الله تعالى، والشر من العبد؛ لأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، وليس له مشيئة فى معاصى العباد، ويحوزون نكان بنات البنان، وبنات أولاد الإخوة والأخوات؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ٧/ ١٤٢-١٤٤، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...

(٢) سورة النساء: آية ٥٩ .

وأما الروافضة: فقد أفرطوا فى حب على بن أبى طالب ﷺ؛ حتى قالوا: لم يكن على وجه الأرض بعد النبى ﷺ أفضل من على. وقالوا: إن الله تعالى بعث جبرائيل إلى على فغلط هو، فأدى الرسالة إلى الرسول ﷺ لمشابهته له، ويلعنون على جبرائيل، ويذمون محمدًا ﷺ.

وهم يزعمون أن الله تعالى أعطى الدنيا لعلى؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

فمنهم العلوية: فهم الذين قالوا: إن هو إلا الرسول من عند الله تعالى فلذلك كانوا من أهل النار.

والأمرية: وهم الذين قالوا: إن عليا شريك محمدًا ﷺ فى النبوة؛ فإن القرآن نزل بعضه على على، وبعضه على محمدًا ﷺ؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

والشيعة: وهم الذين شايعوا عليا على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصاية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاد على؛ فإن خرج فبظلم يكون من غيره، ويمسحون على أرجلهم بلا خف؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

والإسحاقية: وهم الذين قالوا: إن عليا هو الإله؛ لأن ظهوره الروحانى بالجسد الجسمانى أمر ظاهر لا ينكره عاقل؛ فكذلك يظهر بصورة أشخاص، فلما لم يكن بعد النبى ﷺ أفضل من على أطلقوا الإلهية عليه، ولكن يظهر غيره؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

والناووسية: وهم الذين قالوا: إن من يفضل عليا على جميع خلق

الله تعالى فهو كافر؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

والإمامية: وهم الذين قالوا: من فضل أحدًا على على فقد كفر، وقالوا: لا يكون إمام من غير ولد الحسين.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الأمة بعضهم أئمة بعض فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال الله تعالى فى سورة الفرقان ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١].

يعنى: اجعلنا لكل واحد إماما يقتدى به المؤمنون فيهتدون.

والزيدية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى سيبعث رسولًا من العجم؛ وينزل عليه كتابًا من السماء جملة واحدًا، فيترك شريعة المصطفى ﷺ.

وقالوا: أولاد الحسين كلهم أئمة الأمة فى الصلوات الخمس، فما دام يوجد منهم أحد فلا تجزئ الصلاة خلف برهم وفاجرهم؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

لأن النبى ﷺ قال: «يومكم أقرؤكم لكتاب الله»[٢]، ولم يقل: يؤمكم أولاد الحسين، وقال: «صلوا مع من صلى إلى القبلة، وصلوا على من مات من أهل القبلة»[٣].

والعباسية: وهم الذين قالوا: إن الإمام من عباس بن عبد المطلب؛ لأن العباس عم النبى ﷺ، والعم أولى بالخلافة؛ لأنه

---

(١) سورة الفرقان: آية ٧٤ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ١٧/ ٢٢٤ .

(٣) رواه السهمى فى تاريخ جرجان ص٣١٣ .

عصبة من عصباته، وأقرب الناس إليه، وهو كان أفضل الناس وأحقه بالخلافة من أبى بكر.

واحتجوا على ذلك بقوله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١].

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن أفضل الناس بعد النبى ﷺ أبو بكر؛ لأنه يريد نفسه فى صلاة المؤمنين فى حياته، فكذلك يريد بعد موته فى الخلافة، فإن الخلافة ليست بالوراثة، إنما هى برضاء العامة، ولو كانت الإمامة بالوراثة ما احتاج عمر بالمشورة بعد وفاته.

والمتناسخية: وهم الذين قالوا: إن الأرواح تتناسخ، فمن كان محسنًا تخرج روحه فتدخل فى خلق يسعد بعيشه، ومن كان مسيئًا يخرج روحه فتدخل فى خلق تشقى بعشيه.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه إن كانت الأرواح تتناسخ فلا يحل لأحد أكل لحم، ولا محاربة خلق؛ لأنه لا يدرى يأكل الخنزير أو يحاب أبيه.

وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ وأنا رديفه يقول: «خلق الله تعالى الأرواح قبل الأرزاق بأربعة آلاف سنة»[٢].

فهذا يدل على أن الأرواح ليست تتناسخ بعضها بعضًا.

والرجعية: وهم الذين قالوا: إن علىَ بن أبى طالب وأصحابه

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٦ .

(٢) ذكره الديلمى فى الفردوس، وينحوه فى لسان الميزان ٣/ ٢٦١ .

كلهم يرجعون إلى الدنيا، وينتقمون من أعدائهم، ويستوى الملك لهم فى الدنيا ما لم يستو لأحد، ويملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن من مات فلا رجوع له إلى الدنيا إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالي في سورة طه[١]: ﴿مِنْهَا﴾ - أى: من الأرض- ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ -أى: أصلكم وهو آدم عليه السلام- وأنتم منه- ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ -بعد موتكم بالدفن فيها- ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ -أى: نحييكم عند البعث- ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ -أى: كابدتاء خلقكم وإحياكم من التراب-.

واللاعنية: وهم الذين يلعنون معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، ويلعنون غيره من الناس مثل عائشة، وطلحة، والزبير، وغيرهم من الصحابة. ويرون ذلك حقًا.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لا يحل أن يذكر أحدًا من الصحابة إلا بخير، ولا أن يقع فى أحد منهم، بل يذكرهم بالخير، ويكف عن مساويهم، كما قال النبى ﷺ: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا»[٢].

فالواجب علينا الكف عن ذكرهم إلا بخير، والحب لهم جميعًا؛ لصحبتهم مع النبى ﷺ.

ولا ينبغى لنا أن نتخذهم غرضًا، كما قال النبى ﷺ: «اتقوا الله فى أصحابى، لا تتخذوهم من بعدى غرضًا، فمن أحبهم فبحبى أحبهم،

---

(١) سورة طه: آية ٥٥ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ٢/ ٩٦ .

ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه»[١].

والمتربصية: وهم صنف من الرافضة، تشبهوا بزى النساء، وأصابوا رجلًا من أهل النيسابور من قرية وقالوا له: إنك مهدى أمة محمد ﷺ، وخرجوا بالسيف على المسلمين، ومن خالفهم أكفروه، ومن تبعهم أضلوه.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن كل راية ترفع لمهدى وهو على الضلالة حتى يخسف البيداء؛ فعند ذلك يظهر المهدى.

وأما القدرية: فإنهم أنكروا مشيئة الله تعالى، وتخليقه، وقضائه وقدره، وعلمه بأعمال العباد، وقال: الخير من الله تعالى؛ أى: المشيئة، والشر من أنفسنا أو من إبليس؛ أى ليس بمشيئة الله تعالى ولا بقضائه وقدره وعلمه؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

فمنهم أحمدية: وهم الذين قالوا: إن من شرط العدل على الله تعالى لعباده أن يملكهم أمورهم، ويكف عن أفعالهم مشيئته، وتخليقه، وقضائه وقدره، وعلمه؛ ليحيط عدله على العباد فى تعذيبه إياهم؛ فلذلك كانوا من أهل النار.

لأن الأفعال كلها مقدورة بتقدير المقدر، مخلوقة بتخليق الخالق، مقضية بقضاء القاضى، معلومة بعلم العلام.

والثنوية: وهم الذين قالوا: إن الخير من الله تعالى، والشر من إبليس أو من أنفسهم، فما دام الرجل محسن فهو يعمل بروح

---

(١) رواه الترمذى ٥/ ٦٩٦، والإمام أحمد ٤/ ٨٧، والخلال فى السنة ٣/ ٥١٤ .

اللاهوت، وما دام الرجل مسيئًا فهو يعمل بروح الشيطان، فأيهما يغلب جسم الإنسان يجره إلى مستقره؛ يعنون الجنة والنار.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن النبى ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[١]. وقال النبى ﷺ: «هم مجوس هذه الأمة».

والمعتزلة: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى قدر الخير على خلقه، ولا نقول قدر الشر ولم يقدر؛ لأنا لو قلنا: قدر الشر فكأنا نسبنا الله تعالى إلى الظلم.

ولو قلنا: لم يقدر نسبنا الله تعالى إلى العجز؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: «الأعمال ثلاثة؛ فرائض وفضائل ومعاص، أما الفرائض: فبأمر الله تعالى وبرضائه وبمشيئته تعالى وبعلم الله تعالى ثم يجازى عليه.

وأما الفضائل: فليست بأمر الله تعالى، ولكن برضاء الله تعالى وبقضاء الله تعالى وبقدره ومشيئته وبعلمه، ثم يجازى عليه.

وأما المعاصى: فليست بأمر الله تعالى ولا برضائه، ولكن بقضاء الله تعالى وبقدره وبمشيئته وبعلمه، ثم يعاقب عليه».

والكيسانية: وهم الذين قالوا: لا نعلم أن هذه الأفاعيل من الله تعالى أو العباد، ولكنا نرى العباد هم فاعلون، ولا ندرى هم عليه مثابون أو معاقبون بعد الموت، غير أنا ندرى أحسن العمل فى الدنيا ما كان محمودًا أهله؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه كما قال الله

---

(١) رواه الترمذى ٤/ ٤٥١، والطبرانى فى الأوسط ٢/ ٢٧١.

تعالى فى سورة البقرة[1]: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى إبراهيم وأولاده الموحدون ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أى: مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الأعمال ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من الأعمال، يعنى: لا ينفع كل أحد منهم إلا ما كسب، ولا ينفعكم إلا ما كسبتم.

ولا يخلو الأفعال من وجهين:

إما أن يكون خيرًا أو شرًا.

ولا يخلو الفاعلين إما أن يكونوا عليها مجازين أو معاقبين كما قال النبى ﷺ: «الدنيا كحلم النائم، وأهلها مجازون عليها أو معاقبون»[2].

والشيطانية: ويقولون: إن قلنا إنه خلق الشيطان فقد قلنا إنه رضى بخلقه المعصية؛ وهذا منفى عنه تعالى؛ فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن كل شىء دون الله تعالى وصفاته وأفعاله فهو مخلوق؛ لأنا إن قلنا: إن إبليس ليس بمخلوق؛ فقد ادعينا الربوبية له وأنه الأزلى الأبدى الدائم مع الله تعالى؛ وهذه دعوى الشرك.

بل نشهد أنه مخلوق، كما أقر اللعين على نفسه حين قال لربه عز وجل فى سورة الأعراف: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3].

والشريكية: وهم الذين قالوا: إن الحسنات كلها مخلوقة ومقدرة إلا حسنة واحدة وهى الإيمان، وأن السيئات كلها مخلوقة ومقدرة إلا

---

(١) سورة البقرة: آية ١٣٤، ١٤١.

(٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مراجع.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٢.

سيئة واحدة وهى الكفر؛ لأنا إن قلنا إن الكفر والإيمان هما مخلوقان؛ زعمنا أن القران مخلوق؛ فلذلك كانوا من أهل النار، وأمر الله تعالى بالإيمان، ونهى عن الكفر، ولو كانت كما ادعت الشريكية أن كل شيء ذكره الله تعالى فى القرآن من القرآن لصار القرآن بعضه ميتًا وبعضه حيًا، وبعضه ذكرًا، وبعضه أنثى، لأن الله تعالى ذكر فيه الأحياء والأموات، والذكور والإناث، والأنصاب والأزلام، والأنبياء، والسماوات والأراضين.

فما أقبح دعوى الشريكية؛ لم يعرفوا التمييز بين الإيمان فى القرآن؛ حيث ميز الله تعالى، فقال فى سورة النساء[١]: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ أى: بالقرآن ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ أى: وبكل كتاب أنزل قبل القرآن، فهذا يدل على أن القرآن كان والإيمان لم يكن إذا أمرهم بذلك.

وقال الله تعالى فى سورة الشورى[٢]: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ أى: لم تكن تدرى قبل الوحى ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ أى: القرآن، فما: استفهامية، ولا تدرى ما الإيمان الشرعى دون العقلى؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الوحى كانوا مؤمنين موحدين بطريق العقل والاستدلال.

كما روى أن النبى ﷺ كان يوحد الله تعالى، ويبغض الأصنام، ويحج ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم ﷺ.

والوهمية: وهم الذين قالوا: ليس لكلام الخلق وأفعالهم ذات،

---

(١) سورة النساء: آية ١٣٦ .

(٢) سورة الشورى: آية ٥٢ .

ولا للحسنات والسيئات ذات. ومن زعم أن لها ذاتًا فقد زعم أن القرآن مخلوق. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه محال أن يكون شيء لا ذات له، فإن الله تعالى لا يثيب ولا يعاقب بغير شيء، بل الحسنات والسيئات كلها مذوت بتذويبت المذوت، وكذلك كلام الخلق مذوت؛ لأنه مخلوق يحتمل الثقل والوزن كما قال النبى ﷺ: «لو جيء بالسموات والأرض وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهن»[(١)].

والروندية: وهم الذين قالوا: إن كل كتاب نزل من الله تعالى فالعمل به حق ناسخًا كان أو منسوخًا؛ لأنه لا يحسن من الحكيم أن يقول ويندم ويرجع عن.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى أنزل الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران[(٢)]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أى: القرآن ﴿مِنْهُ﴾ أى: من القرآن ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ أى: متيقنات لا يدخل فيها من الاشتباه ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

أى: تلك المحكمات أصل الكتاب الذى يحمل عليه الأحكام، وترد إليه المتشابهات بالتأويل ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ عطف على آيات، ومتشابهات صفة أخرى، ومنه آيات أخر يدخل فيها اشتباه واحتمال يحتاج إلى التأويل.

---

(١) أورده الطبرى فى التفسير من حديث ابن عباس -رضى الله عنهما- ١٦/ ١٣٠.

(٢) سورة آل عمران: آية ٧.

والمنبرية: وهم الذين قالوا: إن من عصى ربه ثم تاب لا يقبل توبته؛ لأنه اجترأ على الله تعالى، فكل من اجترأ على الله تعالى وعصاه بعدما قبل الإيمان وأطاع فإنه لا يغفر له. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد كما قال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[١] فإنه قابل التوبة من جميع العباد حتى تطلع الشمس من مغربها.

كما روى عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله تعالى باسطة لمسئ الليل ليتوب بالنهار ولمسئ النهار ليتوب بالليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[٢].

والناكثية: وهم الذين قالوا: إن البيعة نافلة كسائر النوافل، ومن نكث بيعة الإمام فلا يأثم، وهم يدعون ذلك حقًا. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن البيعة سنة وليست نافلة، كما قال الله تعالى: فى سورة الفتح[٣]: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أى: نقض العهد والبيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ أى: يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

والباسطية: وهم الذين قالوا: إن طلب الدنيا أفضل العبادات، والرغبة فيها أفضل من الزهد؛ لأنه بها تنال نعمة الآخرة.

ويجب أن يجعل تسعة أعشار عمره فى طلب الدنيا، وعشرة فى العبادة. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الآيات الواردة فى ذم الدنيا كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها، فلا

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٢ .

(٢) رواه مسلم ٤/٢١١٣ .

(٣) سورة الفتح: آية ١٠ .

حاجة إلى استشهاد بآيات القرآن؛ لظهورها.

والنظامية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى لا شيء بأفعاله وصفاته، ومن زعم أنه شيء فقد شبه بالشيء فهو كافر. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لو لم يكن شيئًا بأفعاله وصفاته لما كان يحيط الخلق علمه، ومن أنكر أن الله تعالى هو شيء موصوف بما وصف نفسه من الأفعال.

فقد ادعى الكفر؛ لأنه لو لم يكن الله تعالى شيئًا لكانت الأشياء آلهة أنفسهم، ومحال أن يكون تدبيرًا لأشياء من اللاشيء؛ وقد قال الله تعالى في سورة الأنعام[(١)]: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ أي: أعظم حجة وبرهانًا على صدق رسالتي، فإن أجابوك، وإلا فأنت ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أكبر شهادة له.

أي: هو يشهد بأني رسول الله إليكم. والشهيد بمعنى الشاهد، وأن الله تعالى هو شيء لا كالأشياء، ومحال أن يكون اسم بلا ذات، أو ذات بلا اسم؛ لأن الأسماء رسوم الذوات، والذوات صفاتها.

وأما الجبرية: فإنهم نسبوا القبائح إلى الله تعالى، وأبرؤا العباد من الذنوب، وقالوا: ليس للخلق استطاعة لا قبل الفعل ولا مع الفعل؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا من الله تعالى وحده، والعبد في هذه كالشجرة إذا حركتها الريح تحركت وإلا لم تتحرك.

وفي أصل الكلام أنهم نفوا الفعل عن العبد، وأضافوه إلى الله تعالى. فلذلك كانوا من أهل النار.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٩ .

فمنهم المضطرية: وهم الذين قالوا: ليس للعباد أفعال، لا الخير ولا الشر، ولا يقدر أن يؤدى ما أمر الله تعالى بهم من الطاعة، ويجتنب ما نهاهم الله تعالى من المعصية؛ لأنهم يزعمون أن ليس للخلق أفعال، كالموتى، بل الله يفعل كله، كالصلاة والصوم والحج، وصلة الرحم، واجتناب المعاصى، ونحوها من الأفعال. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة النجم(١): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أى: من الخلق ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أى: ليعاقب فى الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الشرك والمعاصى ﴿وَيَجْزِيَ﴾ أى: ليثيب ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾.

أى: بسبب الأعمال الحسنى، أو بالجنة ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ أى: ينتهون ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ أى: الكبائر من الإثم وهى الذنوب التى لا تسقط عقابها إلا بالتوبة ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ من الذنوب كالزنا والقتال بغير حق. وقيل: كبائر الإثم: الشرك بالله تعالى، والفواحش: المعاصى.

والأنبيانية: وهم الذين قالوا: إن الأفعال كلها من الخير والشر ليس منا وفعلنا، ولكن لا استطاعة لنا فيها؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا لله تعالى وحده، ونحن فى ذلك كالكلب إذا كان فى عنقه حبل يقاد به كرهًا وجبرًا وقهرًا، لا تنفعه القوة.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) يعنى طاقتها.

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣١-٣٢ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦ .

والمعية: وهم الذين قالوا: منا الفعل، ولكن الاستطاعة مع الفعل لا قبله ولا بعده؛ لأن العبد إذا كان قاعدًا لا يستطيع القيام.

ويقولون: من ادعى الاستطاعة قبل الفعل فقد زعم أنه لا حاجة له إلى رب، وقد استغنى عن الله تعالى. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى لا يأمر أحدًا بأمر إلا أعطاه استطاعة ذلك الأمر إن أداه العبد أو لم يؤده، وليس هذا استغناء عن الله تعالى؛ بل العبد محتاج إلى ربه في خير وشر كما قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1].

أي: فرض الحج على من استطاع إلى البيت سبيل الذهاب والرجوع، والاستطاعة: الزاد، والراحة، ونفقة العيال قدر ما يبلغ به.

والمرفوعية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى حين أمر القلم أن يكتب بما هو كائن إلى يوم القيامة فصار كلها مخلوقة، وقد فرغ من تخليقها. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى يخلق في كل وقت ما يشاء.

كما قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] أي: في كل يوم لا يخلو عن إحداث أمر من الأمور، وتجديد حال من الأحوال، يعطي ويمنع، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويثيب ويعاقب، وهو رد لقول اليهود حيث قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا.

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٧ .

(٢) سورة الرحمن: آية ٢٩ .

والمنانية: وهم الذين قالوا: إن الخير يخطر قلبك بنوره، والشر يظلمه، فاستعمل ما توهم منه خيرًا فإنه مِنَّةُ الله تعالى عليك، وتاجتنب ما توهم منه شرًا، فإنه الآثار لا تغنى عنك من الله شيئًا. فلذلك كانوا من أهل النار.

لأنهم أمنوا من حيلة الشيطان ووسوسته ولمته كما قال الله تعالى فى سورة الأعراف[١]: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أى: لا يضلنكم عن طاعتى باتباع فيمنعكم من دخول الجنة ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ حتى تركا طاعتى بفتنته، وفيه نهى للشيطان لفظًا وللناس معنى، وقال الله تعالى فى سورة الملائكة[٢]: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ أى: عدو قوى فى عداوته ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أى: لا تطيعوه، وحاربوه فى سركم وجهركم، ولا ينبغى لنا أن نستريح الليل والنهار من محاربته؛ فإنه قاعد على صراطنا المستقيم، ولا أن نأمن من مكره كما أمنت المنانية؛ فإنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون.

والكسالية: وهم الذين قالوا: ليست الثواب والعقاب مما يكتسبه العباد، ولكن الثواب والعقاب مقسوم، لا يزيد لمجتهد، ولا ينقص لعاجز؛ لأن كل ذلك مقدور. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الثواب والعقاب سواء للخلق مما يكتسبون، كما قال الله تعالى فى سورة بنى إسرائيل[٣]: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ﴾ أى: إن أطعتم ربكم بالتوحيد والعبادة الخالصة ﴿أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ أى: عملتم الثواب لأجلكم فى الجنة

(١) سورة الأعراف: آية ٢٧ .

(٢) سورة فاطر: آية ٦ .

(٣) سورة الإسراء: آية ٧ .

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أى: أشركتم وخالفتم أمر ربكم فلأنفسكم عقاب الإساءة وجزاؤها.

وقيل: اللام فيها بمعنى على، كما فى قوله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾[١]، المعنى: أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم.

وقال الله تعالى فى سورة فصلت[٢]: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ أى: ثوابه لها ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أى: عذابه عليها.

والسابقية: وهم الذين قالوا: إن الناس كلهم صنفين: شقى وسعيد، فلا يضر السعيد ذنوبه ولا ينفع الشقى بره، فمن شاء فليعمل ومن شاء لم يعمل. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الأعمال لا تخلو من أن تضر صاحبها أو تنفعه، فيكون له أو عليه كما قال الله تعالى فى سورة الزلزلة[٣]: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ أى: من فريق السعداء ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أى: مقدار نملة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ أى: ثوابه فى الآخرة ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ أى: من فريق الأشقياء ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أى: عقابه فى الآخرة.

والحبيبية: وهم الذين قالوا: من اتصل قلبه إلى الله تعالى، وشرب كأس محبته سقطت عنه عبادة الأركان، فيكون الله تعالى يناجيه بقلبه، وللعبدح أن يتبع ما فى القلب، فإن العبد حين صفا له محبة الله تعالى أحاط الله تعالى بقلبه، والحبيب لا يلهى قلب حبيبه

---

(١) سورة الواقعة: آية ٩١ .

(٢) سورة فصلت: آية ٤٦ .

(٣) سورة الزلزلة: آية ٨ .

عنه، والمحارم حماء الله تعالى، فإذا أحب العبد ربه كما ينبغى؛ فلا يمنع الحبيب عن حمائه.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن من ادعى أن حبه لله تعالى من قبل الشخص فقد ادعى الكفر، بل الحب من قبل العين، وعلامة محبة الله تعالى اتباع أمره لا اتباع ما يقع فى القلب كما قال الله تعالى فى سورة ص[١]: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أى: هوى النفس فتقضى بغير عد ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ أى: الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أى: دين الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ أى: بما تركوا العمل ليوم القيامة ويوم الحساب.

والخوفية: وهم الذين قالوا: إن من أحب الله تعالى لا يسعه أن يخافه؛ لأن الحبيب لا يخاف الحبيب، وإنما يخاف من جور الجائر، لا من عادل، وهو أعدل العادلين، فمن خافه فقد أثبت الجورية، ولا يحل لأحد أن يخاف منه. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الخوف منه ومن عذابه أفضل العبادة كما قال الله تعالى فى سورة السجدة[٢]: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أى: تبعد وترتفع جنوبهم عن الفراش والوساد لترك النوم ﴿يَدْعُونَ﴾ أى: داعين ﴿رَبَّهُمْ﴾؛ يعنى عابدين له ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ أى: لأجل خوفهم (من سخطه) وطمعهم فى رحمته، أو خوفًا من القطيعة وطمعًا فى الوصل.

وقال الله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٣]

---

(١) سورة ص: آية ٢٦ .

(٢) سورة السجدة: آية ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء: آية ٩٠ .

أى: رغبة فى ما عندنا، ورهبة من عذابنا.

وقال تعالى فى سورة آل عمران[١]: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ أى: الشيطان وأولياءه ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وإنما الخوف من عدله لا من جوره؛ كمثل قاطع طريق أخذ فى المفاوز وهو يؤتى به إلى الأمير، فإن كان الأمير جائرًا مائلًا للرشوة طمع السارق فيه ببذل الرشا ويخلى سبيله، وإن كان الأمير عادلًا يحمل الناس على حكم الله تعالى لا على حكمه؛ فلا يكون للسارق عليه طمع، فيستيقين بالهلاك، فهو من إمام عادل أشد خوفًا من جائر.

والنجارية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى يعذب الخلق على أفعاله لا على أفعالهم، والأطفال يلحقون بآبائها فى ثواب كان أو عقاب. فلذلك كانوا من أهل النار.

والفكرية: وهم الذين قالوا: من ازداد علمًا سقطت عنه بقدر ذلك من العبادة، وعلى العباد ما يحتاج إليه من الدنيا، فمن أخذ منها شيئا (لم يكن لأحد أن يمنعه)، وله أن يقاتل من منعه؛ لأنه شريك فى أموال الدنيا، من منعه شيئًا مما يحتاج إليه فهو ظالم له.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن من ازداد علمًا ازداد حبًا، وازداد اجتهادًا.

فلا تسقط عنه العبادة، ومن ازداد علما ازداد خشية من الله تعالى، كما قال الله تعالى فى سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[٢] أى: العلماء بالله تعالى دون غيرهم، وهم الذين علموه

(١) سورة آل عمران: آية ١٧٥ .

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨ .

بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، وعظموه حق تعظيمه وخشوه حق خشيته، ومن ازداد علمه ازداد خوفه منه.

والخشبية: وهم الذين قالوا: إن الدنيا بين العباد سواء، لأن المؤمنين إخوة، والإخوة ليس بينهم تفاصيل أورث لهم أبوهم، ولا يحل لأحد أن يفسد من شيئًا، ويأخذ ما يحتاج إليه، والجمع والملك والمنع كله باطل.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لا يحل لأحد أن يتقدم على مال غيره إلا بإذن صاحبه، كما قال الله تعالى فى سورة المائدة[١]: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ وإنما بدأ بالمذكور؛ لأن السرقة فى الرجال أكثر، وهو مبتدأ، أى: الذى سرق والتى سرقت من المال، خبره ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾.

وقال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[٢] أى: بالحرام.

وأما الجهمية: فإنهم ادعوا فرارًا من التشبيه، فوقعوا فى أقبح التشبيه، حتى أنكروا فى كل المعانى وشبهوه بلا شىء؛ وذلك أنهم قالوا: ينبغى أن يعرف الخالق بخلاف المخلوق فى كل المعانى، وشبهوه بلا شىء.

ولا يخالف المخلوق فى كل المعانى إلا لشىء، ولا مع ذات الشىء، ولا مع فعل شىء، فأخرجوا الله تعالى من الأشياء والأسماء والأفعال. فلذلك كانوا من أهل النار.

---

(١) سورة المائدة: آية ٣٨ .

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٨ .

فمنهم المعطلة: وهم الذين قالوا: إن الأسامى والأوصاف مخلوقات، وقالوا: إن كل ما وقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن يقع على الله تعالى وهم فهو كافر، وأن الله تعالى ما لا يقع عليه الأوهام؛ يعنون: لا شيء؛ لأنه لا يقع عليه الأوهام بالإثبات.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى معروف بالإثبات، والأشبه: والصفات والأفعال والأسامى، إلا أنه لا تدركه الأبصار فى الدنيا، وفى الآخرة يراه أولياؤه، كما قال الله تعالى فى سورة القيامة[1]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ هذا بيان حال الخلق يوم القيامة، قيل: المراد من الوجه هنا الجملة؛ أى وجوه منهم يومئذ ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ أى: مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعنى ناظرين يومئذ إلى الله تعالى.

والمرسية: وهم الذين قالوا: أربعة مما وصف الله تعالى به نفسه وأساميه ليس بمخلوق، وسائر صفاته وأفعاله مخلوقة؛ العلم، والقدرة، والتخليق، والمشيئة.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه محال أن يصف الله تعالى نفسه بصفة أو فعل يكون مخلوقًا، بل الصفات كلها غير مخلوقة قديمة أزلية قائمة بذاته.

والملتزقية: وهم الذين قالوا: لا نقول له حدٌّ، لأنه لا يغيب عنه مكان.

فإن قلنا له حدٌّ فقد قلنا إنه خلا منه مكان.

---

(١) سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٢٣.

وهم يزعمون أن الله تعالى لا يخلو منه مكان، حتى المزبلة والكنيف. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[١]، فالواحد لا يكون بغير حدٍّ، وحدةُ فردانيته.

والواردية: وهم الذين قالوا: لا يدخل المؤمن النار، وكل من عرف ربه فقد استكمل الإيمان، وهو من أهل الجنة، ولا يدخل المؤمن النار أبدًا، إنما يرد عليها من غير دخول، ومن دخلها فلا يخرج منها أبدًا. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة مريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٢] أى: ما منكم إلا وارد النار.

وروى عن جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها فحما، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون منها، ثم يدخلون الجنة»[٣].

والزنادقية: وهم الذين قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا ولا ينكر. فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه لا يسع لأحد أن ينكر ربه، ولا أن يشك فيه، ومحال أن يكون إلهان فصاعدًا؛ لأنه لا يتفقان كما قال الله تعالى فى سورة الأنبياء[٤]: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعنى: لو كان فى السماء والأرض آلهة غير الله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ يعنى: لخرجت السماء والأرض، ويهلك أهلهما؛ يعنى التدبير لا يكون مستويًا.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٦٣ .

(٢) سورة مريم: آية ٧١ .

(٣) رواه الترمذى فى صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين ٤/ ٦١٥ .

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٢ .

والحرقية: وهم الذين قالوا: إن الكافر يحرقه الله تعالى بالنار مرة واحدة، ثم يبقى محرقًا أبدًا فى النار.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة النساء[١]: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ أى: احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ﴾ أى: جددناهم ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أى: بأن غيرناهم من شكل إلى شكل، ففيه إيذان بدوام العذاب عليهم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ بلا انقطاع.

وقال الله تعالى فى سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[٢] أى: ملجأ نعتصم به.

والمخلوقية: وهم الذين قالوا: إن القرآن مخلوق محدث، وجميع صفات الله تعالى وأفعاله كذلك، ومن زعم أن القرآن غير مخلوق فقد ادعى مع الله شريكا أزليًا وهو الكفر بعينه.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن القرآن كلام الله تعالى، وهو منه، وليس مميزًا عنه، والله تعالى بجميع صفاته وما منه غير مخلوق، والمخلوق بجميع صفاته وما منهم مخلوق، والقرآن من الله تعالى، وليس مميزًا عنه، ولا يكون من الخالق مخلوق، بل هو غير مخلوق ولا محدث.

والفنانية: وهم الذين قالوا: إن الجنة والنار تفنيان ولا تبقيان؛ لأنه لا يحسن أن يقال إن الجنة باقية والله تعالى باق.

---

(١) سورة النساء: آية ٥٦ .

(٢) سورة إبراهيم: آية ٢١ .

ومنهم من يقول: لم يخلق الجنة والنار، ثم يخلقان يوم القيامة.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان أبدًا لا انقطاع لنعيمها، ولا زوال، كما قال الله تعالى فى سورة الزخرف[1]: ﴿وَفِيهَا﴾ أى: فى الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ بهاء الضمير وتركها ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ أي: تلذ به نظرهم ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أى: لا تخرجون ولا تموتون.

والمغيرية: وهم الذين قالوا: محال على الله تعالى أن يبعث رسولًا إلى خلقه، ولكن محمد ﷺ كان حكيمًا انتسخ هذا الكتاب من آثار الأوائل ليتفق المعائش بين الناس.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه محال على الله تعالى أن يخلق خلقًا ويتركهم مهملًا لا يرسل إليهم ولا يكلفهم طاعته وعبادته كما قال الله تعالى فى سورة القيامة[2]: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أى: كل إنسان منكر للقرآن والبعث ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى: مهملًا لا يؤمر ولا ينهى؛ بل كان محمد ﷺ رسول ربه إلى خلقه.

والواقفية: وهم الذين قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق؛ لأنه لا يأتينا فيه آية ناطقة ولا أثر صحيح، فاختاروا من ذلك الوقف، وأكفروا الصنفين جميعًا.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الوقف على القرآن بدعة؛ لأنه من الله تعالى، وكل شىء من الله تعالى فهو غير مخلوق.

---

(١) سورة الزخرف: آية ٧١ .

(٢) سورة القيامة: آية ٣٦ .

روى عن عبد الغفار مولى النبى ﷺ: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر معجم النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القرآن فقولوا: كلام الله غير مخلوق»[١].

والقبرية: وهم الذين (قالوا: لا يكون) عذاب القبر.

ويقولون: كيف يتسع المكان مع عمودهما فى أربعة أذرع؛ فإن عمودهما أعظم من الدنيا. وأنكروا الشفاعة أيضًا.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن عذاب القبر حق كائن بغير توهم، كما قال الله تعالى فى سورة الطور[٢]: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا﴾ أى: القتلى ببدر، وهو عذاب القبر ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أى: قبل عذاب النار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك.

وقال الله تعالى فى سورة طه: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٣] يعنى عذاب القبر.

وكذلك الشفاعة هى حق لا محالة، كما قال الله تعالى فى سورة بنى إسرائيل[٤]: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ﴾ (يوم القيامة) ﴿رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهو نصب على الظرف؛ أى: يثبتك فى المقام المحمود، وهو مقام الشفاعة.

وقال الله تعالى فى سورة المدثر[٥]: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ﴾ يوم القيامة

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٥١ .

(٢) سورة الطور: آية ٤٧ .

(٣) سورة طه: آية ١٢٤ .

(٤) سورة الإسراء: آية ٧٩ .

(٥) سورة المدثر: آية ٤٨ .

﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين.

واللفظية: وهم الذين قالوا: إن الفاعل والمفعول واحد، والقراءة والمقروء، واللفظ والملفوظ واحد.

وكذلك قالوا: إن القراءة والقرآن واللفظ به هو القرآن.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن القراءة غير الملفوظ، واللفظ غير القرآنت؛ لأن اللفظ من اللافظ، والقرآن من الله تعالى، ولا يخلو اللفظ من أن يكون خيرًا أو شرًا، والخير والشر مخلوقان، والألفاظ تختلف، والقرآن لا يختلف، واللفظ يفنى، والقرآن لا يفنى، واللفظ ردى ودون، ولا يقال من القرآن دون ردى، وأن القرآن كله حسن.

فإذا كان لفظ اللافظ بالشعر فاللافظ مخلوق، واللفظ مخلوق، والملفوظ مخلوق؛ لأنه كلام الشاعر.

فإذا كان لفظ اللافظ بالقرآن، فاللافظ مخلوق، واللفظ مخلوق، والملفوظ ليس بمخلوق؛ لأنه كلام الله تعالى، والفرق بينهما أكثر من أن يحصى، وقد فرق الله تعالى بينهما فى سورة بنى إسرائيل(١): ﴿وَقُرْءَانًا﴾ نصيب يفسره ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بالتخفيف؛ أى: أنزلناه متفرقًا آية بعد آية، وسورة بعد سورة، فى زمان مختلفة، أو فرقناه بمعنى بيناه تبيينا؛ أىَ: جعلناه فارقاً بين الحق والباطل.

وأما المرجئة: فإنهم تكلموا على أن الإيمان بغير عمل لا ينفع، كما لا ينفع مع الكفر حسنة، فكذلك لا يضر مع الإيمان سيئة.

وقالوا: ليس بعد الإيمان فرض؛ فإن عملت فحسن، وإن لم

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٦ .

تعمل فليس عليك شيء.

فلذلك كانوا من أهل النار.

فمنهم: التاركية: فهم الذين قالوا: ليس الله تعالى على خلقه فريضة بعد الإيمان، فمن آمن به وعرفه بقلبه فيعمل بذلك ما شاء، فإن عمل أعمال البر أعطاه الله الجنة، ولا يعطيه الدرجات، وإن ارتكب المعاصى كلها أعطاه الجنة أيضًا.

وينكرون النار إلا لمن يكفر بالله العظيم.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى فرض المفروضات، ونهى عن المنهيات بعد الإيمان، وأوصى الشرائع على المؤمنين والمؤمنات.

والسابية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى يسيب خلقه ليعملوا ما شاؤا، ولم يفرض غير الإيمان شيئًا، فمن تطوع بخير أو لم يتطوع فهو عند الله بمنزلة واحدة، وليس لله تعالى على خلقه أمر ولا نهى من الأعمال، فمن آمن به فله الجنة بدرجاتها، ومن كفر فله النار بدركاتها.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأنه محال على الله تعالى أن يخلق خلقًا يسيبهم أو يهملهم، كما قال الله تعالى فى سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[1] يعنى أن يترك مهملًا لا يؤمر ولا ينهى.

---

(١) سورة القيامة: اية ٣٦ .

والراجية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى فرض المفروضات، ونهى عن المنهيات، فمن أطاع فلا نسميه مطيعًا، ومن عصاه فلا نسميه عاصيًا حتى يقضى الله تعالى بينهم.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن من أطاع الله تعالى فنسميه مطيعًا، ومن عصاه فنسميه عاصيًا؛ لأن الطاعة والمعصية هما ظاهران فنحكم عليه بالأحكام الظاهرة؛ لأن النبى ﷺ قال: «الحب فى الله، والبغض فى الله»(١)، فإن كان الأمر إلى ما ذهب إليه الراجية أنا لا نعلم المطيع من العاصى فنبغض من يتجنب إلى الله تعالى، ونتباعد ممن يتقرب ممن يتقرب إلى الله تعالى.

والشاكية: وهم الذين قالوا: إن الإيمان قول وعمل؛ فإن الأعمال كلها من الإيمان، حتى إماطة الأذى عن الطريق.

وقالوا: لا يقوم بغير الإيمان عمل؛ لأن الأعمال كلها إيمان. فهم الذين اتكلوا على الإيمان بغير عمل؛ لأنهم زعموا أن ليس بعد الإيمان عمل مفروض.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان كلام شهادة أن لا إله إلا الله، هو الذى حض الله تعالى الكفار عليه، كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران(٢): ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ -من اليهود والنصارى- ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ أى: كلام واحد ﴿سَوَآءٍۭ﴾ أي: تسوى ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ولم يقل: عمل بيننا وبينكم.

---

(١) رواه أبو داود ٤/١٩٨، وابن أبى شيبة ٦/ ١٧٠ .

(٢) سورة آل عمران: آية ٦٤ .

وقال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[١]، ولم يقل اعملوا بالله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان قول، والعمل شرائعه»[٢].

ثم بين الكلمة بقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾ أى: لا نوحد ﴿إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ من خلقه.

والبيهسية: وهم الذين قالوا: إن الإيمان هو أن يعلم كل حق من باطل، وأن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل، فكل من لا يعلم الحق من الباطل فهو كافر، لأنه لا يعلم من المحق.

وكل من لا يعلم الحرام من الحلال فهو كافر؛ لأنه لا يعلم من المحل والمحرم، وكل من لا يعلم المفروضات من السنن فهو كافر؛ لأنه لا يعلم (الشأن من الفارض).

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان غير العلم، والعلم غير الإيمان؛ لأن العلم فريضة على المؤمنين، والإيمان فريضة على الكافرين.

كما قال رسول الله ﷺ: إن العلم غير الإيمان، وهو شرائع الإيمان، كما قال الله تعالى فى سورة البقرة للملائكة[٣]: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أى: أخبرونى ﴿بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المخلوقات ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ أى ننزهك تنزيها عن كل ما لا يليق بعظمتك ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ بشىء ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٣٦ .

(٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مراجع.

(٣) سورة البقرة: آية ٣١ .

وقال الله تعالى فى سورة المائدة(١): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: اذكر يوم القيامة الذى يجمع فيه الأنبياء، ﴿فَيَقُولُ﴾ الله تعالى لهم توبيخا لمكذبيهم: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أى: إجابة أجبتم من قومكم فى التوحيد ﴿قَالُوا۟﴾ أى: الرسل بعد علمهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ فنفوا العلم عنهم، وقد أعلموا بما أجيبوا ثباتًا للحجة على المكذبين ببيان، أو من شدة السؤال وهو يوم القيامة ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

فلو كان العلم إيمانًا كما زعمت البهيسية لكانت الأنبياء والملائكة كلهم كفارًا عند قولهم لا علم لنا.

والعملية: وهم الذين قالوا: إن الإيمان عمل، ولا نقول قول وعمل؛ بل نقول: كله عمل، ونجعل معرفة القلب عملًا، وقول اللسان عملًا، وعمل الأركان عملًا.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، وهو الكلام لا العمل؛ لأن الله تعالى سماه كلامًا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٢).

يعنى: لا إله إلا الله؛ كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾(٣) يعنى: لا إله إلا الله.

وقال فى سورة التوبة(٤): ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهى دعوتهم الخلق إلى الكفر وإرادة قتلهم النبى ﷺ

---

(١) سورة المائدة: آية ١٠٩ .

(٢) سورة الفتح: آية ٢٦ .

(٣) سورة آل عمران: آية ٦٤ .

(٤) سورة التوبة: آية ٤٠ .

﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ أى: المنخفضة المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ أى: الغالبة.

وهى دعوته إلى الإيمان والإسلام، أو شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بإطفاء كلمة المشركين ﴿ٱلْعُلْيَا﴾ بإعلاء كلمة الله تعالى ورفع ظلمة الشرك[١].

وقال الله تعالى فى سورة فاطر[٢]: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعنى: لا إله إلا الله.

والمنقوصية: وهم الذين قالوا: إن الإيمان يزيد وينقص؛ لأن قول وعمل. وبعضهم قالوا: يزيد ولا ينقص.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه الإقرار بوحدانية الرب تعالى.

فكما أن الرب تعالى لا يزيد ولا ينقص؛ فكذلك الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ كما روى عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: جاء وفد ثقيف فقالوا: يا رسول الله! جئنا لنسألك عن الإيمان، أيزيد وينقص قال: «زيادته ونقصانه كفر عند الله تعالى»[٣].

والمستثنية: وهم الذين قالوا: إن الاستثناء فى الإيمان حق، ولا يسع لأحد أن يقول: إنى مؤمن حقًا، قال: إنى فى الجنة.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الاستثناء فى الإيمان باطل؛ لأنه ماض

---

(١) سورة الأنعام: آية ١١٥ .

(٢) سورة فاطر: آية ١٠ .

(٣) لم نقف عليه فيما اطلعنا عليه من المصادر بهذا اللفظ.

لا يستثنى على الماضى، بل المؤمن مؤمن حقًا، والكفر كافر حقًا.

وليس بين الصنفين ثالث، كما قال الله تعالى فى سورة التغابن[١]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ من نفس واحدة ﴿فَمِنكُمْ﴾؛ أى: بعضكم ﴿كَافِرٌ﴾ بخالقه ﴿وَمِنكُم﴾ بخالقه، وقدم الكفر لكثرته.

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يكن مؤمنًا حقًا فهو كافر حقًا»[٢].

وروى عن جابر بن سعد عن حذيفة أنه قال: «ليخرج أقوام فى آخر الزمان يقولون: لا ندرى أنا مؤمنون أو لا؛ وذلك عند أوان الدجال، وحق على الله تعالى أن يلحقهم بالدجال»[٣].

والمشبهية: وهم الذين قالوا: إن الله تعالى على صورة الإنسان.

وقالوا: إن كل ما يوجد فى الإنسان فيوصف به الرب تعالى من الشعر والظفر والحاجب واللحم والدم وما سوى ذلك.

فلذلك كانوا من أهل النار.

والحشوية: وهم الذين قالوا: إن الفرض والسنة والنفل كلها بمنزلة واحدة، وقالوا: من ترك ما جاء عن النبى ﷺ فهو راد على النبى ﷺ.

ويرون تارك التطوع كتارك الفريضة؛ لأن النبى ﷺ لم يقل شيئًا إلا من جبرائيل ﷺ.

---

(١) سورة التغابن: آية ٢ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الأحاديث كثيرة ليست كلها بمنزلة واحدة؛ لأن منها فريضة وسنة، وترغيب وتفضيل، ومنها تخويف وتغليظ.

ومنها إباحة ورخصة ووسعة، ومنها محكم ومتشابه، ومنها ناسخ ومنسوخ، فالواجب علينا اتباع الناسخ منها، والإيمان بمنسوخها.

وأما الإباحة والرخص والفضائل فنحن موسعون على تركها، معذورون على ذلك، مثابون على استعمالها، وليس يلزمنا استعمال كل الأحاديث كما قال النبى ﷺ: «السنة ستتانط؛ أحدهما هدى وتركها ضلالة، والثانى سنة أخذها ثواب، وتركها ماليس بضلالة»(١).

والأثرية: وهم الذين قالوا: نحن أصحاب الأثر والسنة، والقياس والرأى عندنا باطل؛ فلا يحل لأحد أن يقيس شيئًا بشىء.

واحتجوا على ذلك بحديث «إياكم والقياس؛ فإن أول من قاس إبليس حتى كفر بالله تعالى، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس»(٢).

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه خصمان، فقال لى: «اقض بينهما» فقلت: أنت أولى بذلك. قال: «اقض بينهما» فقلت: على ماذا يا رسول الله؟، قال: «اجتهد؛ فإن أصبت فلك عشر حسنات، وإن أخطأت

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية ٧/ ٣٥ عن سفيان الثورى من قوله دون رفعه إلى النبى ﷺ.

(٢) رواه الدرامى فى سننه ١/ ٧٦ .

فلك حسنة واحدة»(١).

والبدعية: وهم الذين قالوا: لا يحل لأحد عصيان الإمام وإن أمره بالمعصية، وهو فى ذلك معذور؛ لأن النبى ﷺ أمر بالسمع والطاعة لكل إمام.

فلذلك كانوا من أهل النار؛ لأن الله تعالى قال فى سورة التوبة(٢): ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ سرًا وعلانية فى الدين والإيمان ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: الإيمان واتباع محمد ﷺ فى الشريعة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أى: الشرك والمعصية. ولم يقل: الأمراء منهم أولياء بعض.

وقال النبى ﷺ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»(٣).

وأما ثواب العمل بالسنة، (فقد) روى عن ابن عمر قال: قال النبى ﷺ: «من كان على السنة والجماعة كتب الله تعالى له ثواب بنى من الأنبياء ويكتب بكل قدم يرفع ويضع عشر حسنات ويرفع له عشر درجات»(٤).

وروى عن ابن عباس قال: «قال: النبى ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد» -رواه البيهقي-(٥).

وروى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «إني تارك فيكم

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ٢/١٦٣ .

(٢) سورة التوبة: آية ٧١ .

(٣) رواه الترمذى ٤/٢٠٩، وابن أبى شيبة فى المصنف ٦/٥٤٥ .

(٤) لم أجد هذا الحديث فيما توفر لنا من مراجع.

(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال تحقيق يحيى مختار غزاوى (٢/ ٣٢٧)

أمرين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهما كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض وسنتي».

وروى عن شريح الخداعي قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن القرآن جاء من عند الله؟ قلنا: بلى يا رسول الله ﷺ.

قال فابشروا هذا القرآن طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعدي أبدًا» رواه الطبراني في المعجم الكبير بإسناد جيدﷺ.

وأما سنة الأبدان فخمس، الأول: الختان أي قطع جلد الذكر، والثاني: الإستحداد أي حلق العانة والثالث: نتف الإبط، والرابع تقليم الأظافر، والخامس: قص الشارب وترك اللحى.

قال ﷺ: «خالفوا المشركين أوفروا اللحى - أي لا تأخذوا منها - وأخفوا الشوارب»[1] أى بالغوا في أخذها، لأن المشركين يقصون اللحى ويتركون الشوارب.

وروى عن زيد بن أرقم أنّ النبى ﷺ قال: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[2]، أى ليس من موافقينا في هذا الفعل، أو ليس منا في وجدان ثواب هذه السنة.

فاتباع الرسول ﷺ فرض لازم لا يسع تركه بحال من الأحوال سفرًا وحضرًا خوفًا وأمنًا وصحة ومرضًا وغير ذلك، ومخالفته ترد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/٢٢٠٩)، باب تقليم الأظفار.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٥/٢٢٦)، والإمام أحمد فى مسنده (٤/٣٦٦).

نعمة الإسلام إلى الزوال بل تزيلها بالفعل، إن ترك استخفافًا بكفر، وإن ترك كسلًا لا يكفر ولكن يعاتب يوم القيامة.

وروى عن ابن عمر، قال النبى ﷺ: «من أخذ شاربه يوم الجمعة كان له بكل شعرة تسقط عنه عشر حسنات»[١] رواه أبو منصور الديلمي.

وروى عن ابن عمر قال: قال النبى ﷺ: «أيما رجل قص لحيته وترك شاربه استحلالا سلط عليه يوم القيامة حية وعقربا بعدد كل شعرة تنهش لحمه»[٢] أى تأخذ اللحم بمقدم الإنسان.

وروى عن أنس قال: قال النبى ﷺ: «أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدًا كانت رمحًا يوم القيامة يطعن به»[٣].

رواه أبو منصور الديلمي في كتاب مسند الفردوس.

وروى عن أنس بن مالك قال: «يقول الله تعالى يا ابن آدم إ الشيب نور من نوري وإنّي استحي أن أعذب نورى بناري» رواه صاحب الفردوس[٤].

وحكى عن يحي بن أكتم.

(أنه) كان نديم الخليفة وكان فاسقًا، فلمان مات رئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب لأبى شجاع الديلمى (٣/ ٥٨٤).

(٢) لم أجد هذا الحديث فيما توفر لى من مراجع.

(٣) ذكره الزرقانى فى شرحه للموطأ (٤/ ٣٦٢).

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب (٥/ ٢٣٠).

قال: أقامني بين يديه، وقال عبد السوء ما تركت شيئًا من أعمال الشر إلا عملت، وأمر بي إلى النار، فيجرني الزبانية إلى النار وأنا ألتفت خلفي.

فأمرني العود إليه، فقال لي: لم إلتفت؟

فقلت: ما هذا أحدث عنك.

فقال: ما حدثت عني؟

فقلت: حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام عنك أنك قلت: إني استحي أن أعذب من شاب رأسه ولحيته في الإسلام.

فقال: صدق معمر، (وصدق الزهري، وصدقت عائشة، وصدق رسولي ﷺ، وجبريل) اذهبوا به إلى الجنة.

وروى عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال: «لا تنفوا الشيب فإنه نور المسلم ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت نورًا يوم القيامة»[١].

وفى رواية: «كتب له بها حسنة له ورفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة».

رواه مسعود بن حبان في صحيحه[٢].

وروى عن أنس أنه قال: «كان النبى ﷺ جالسًا مع أصحابه، إذ أقبل رجل فسلم، فقام له النبى ﷺ، ثم جاء في اليوم التالي فدخل وسلم، فلم يقم له النبى ﷺ.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٢/ ١٧٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٥٣) من حديث أبى هريرة.

فسئل عن ذلك، فقال: كان معى أمس أخى جبريل فقام فقمت معه، وكان معى اليوم فلم يقم، قيل: سله. بماذا قام أمس ولم يقم اليوم؟ فقال: كان أمس في لحيته شعرة بيضاء وهي نور من نور ربي فقمت إكرامًا له، اليوم نظرت فلم أره فلم أقم له».

روى عن أبى داود عن أبى الدرداء قال: قال النبى ﷺ: «من شاب شبية في الإسلام في سبيل الله كان لورًا يضيء ما بين السماء والأرض إلى يوم القيامة لا يطفأ حتى لقيه يوم ا لقيامة، فيزمه كما تزم الناقة بزمامها، حتى يدخل الجنة» رواه ابن حبان وأبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس.

وروي عن فضالة بن عبيد قال: قال النبى ﷺ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة ما لم ينتفها أو لم يخضبها»[١].

وأراد بالخضاب السواد، وأما الحمرة والصفرة فمندوب إليه.

وروى عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ: «يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»، رواه أبو داود والنسائى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»[٢].

وروى عن عبد الله بن عمر قال: قال النبى ﷺ: «من غيّر البياض بسواد لم ينظر الله تعالى يوم القيمة»[٣] رواه الحرب أبن أبى أسامة.

---

(١) أخرجه أبو داود فى مسنده، (١/ ١٥٧).

(٢) رواه أبو داود فى مسنده (٤/ ٧٨)، والنسائى فى السنن الكبرى (٥/ ٤١٥).

(٣) أخرجه أبى شجاع الديلمى فى الفردوس (٣/ ٥٢٣).

وروى عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «شربوا شيبتكم بالحناء فهو أنظر لوجوهم وأنقى لثوبكم وأطهر لقلوبكم وأكثر لجماعكم وأثبت لحجتكم إذا سئلتم في قبوركم الحناء بسيد ريحان الجنة» رواه أحمد بن حبّان وأبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس[١].

وروى عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لا تغيروا هذا الشعر فمن كان مغيرًا فليغيرها بالحناء والكتم»[٢] رواه أبو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس.

وروى عن عقبة بن عامر مرفوعًا «الحناء خضاب الإسلام يزين المؤمن ويذهب بالصداع ويجلي البصر ويزيد في الجماع» رواه صاحب الفردوس.

وروى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت النبي ينهى عن القزع، قيل لنافع: ما القزع؟ قال: «أن يحلق بعض رأس الصبى ويترك البعض»[٣].

وروى عن ابن عمر أنّ النبيﷺ: «رأى صبيا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال: احلقوا كله أو اتركوا كله»[٤].

ذكر الحسن عن أبي حنيفة كان يقول: «الخضاب حسن إذا اختضب بالحناء والكتم والوسم» أراد به خضاب اللحية وشعر الرأس.

---

(١) أخرجه المناوى في فيض القدير (٤/ ١٦٧).

(٢) أخرجه أبو شجاع الديلمى في الفردوس (٥/ ١٧).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/ ٢٢١٤) باب القزع.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٨٣).

وعنه أيضًا: «لا بأس بأن تختضب المرأة يديها ورجليها تتزين بذلك لزوجها إذا لم يكن خضابًا فيه تماثيل» كذا في تحفة الفتاوى.

وفى شرعة الإسلام: «الخضاب سنة ثبتت قولا وفعلًا».

وفى مجمع الفتاوى: اختلف الروايات في أن النبى ﷺ هل فعل الخضاب في عمره؟، والأصح أنه لم يفعل.

عن أبى منية قال: «أتيت النبى ﷺ وعليه ثوبان أخضران وله شعر علاه شيب وشيبه أحمر»[١].

وعنه أيضًا قال: «أتيت النبى ﷺ وكان قد طلح لحيته بالحناء»[٢].

رواه محي السنة في شرح السنة، وكذلك رواه ابن عمر في مسلم وبخاري.

وسئل الكرماني وقال: «مجيبا كلاهما واقع أي من قال: صبغ ومن لم يصبغ صادقان فأخبر كل ما رأى».

وفى ضياء المعنوى شرح المقدمة: «اعلم أن في اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض وهو: خضابها بالسواد، وتبييضها بالكبريت، ونتفها، ونتف الشيب منها، والنقصان منها والزيادة فيها، وتسريحها تصنعا لأجل الرياء، وتركها إظهارا للزاهد، والنظر إلى سوادها عجبًا بالشباب، وإلى بياضها تكبرا بعلو السن، وخضابها بالحمرة والصفرة تشبيهًا للصالحين»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه (٤/ ٨٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووى (٣/ ١٤٩)، وذكر ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٣٥٠).

وفى النهاية: «وبالخضاب جاءت السنة، ولم يكن القصد هو الزينة، ولكن الحاجة أخرى».

كذلك ذكره الإمام الكشاني.

ولا يفعل تطويل اللحية إذا كانت بقدر القُبضة - بضم القاف-، فإن اللحية عندنا طولها بقدر القبضة وما وراء ذلك يجب قطعها، كذا روي عن رسول الله ﷺ كذا روي عن رسول الله ﷺ «أنه كان يأخذ من طولها وعرضها»[(١)].

أورده أبو عيسى في جامعه وقال: «من سعادة الرجل خفة لحيته»[(٢)].

وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويقطع ما وراء القبضة[(٣)]. وكره أبوح رحمه الله أثاره عن عبد الله بن عمر قال ثم اسمع من مقالات شيخنا الشيخ الكامل، زبدة الواصلين، قدوة السالكين، مرشد الطالبين سالك مسالك منهاج النبوة، معمار معالم الشريعة، زين الملة والدين، أبو بكر محمد بن علي الخراساني الخوافي أيده الله تعالى من عنده هو رافع البدعة، وقامع الضلالة، مما ذكره في وصاياه.

قال -رحمه الله-: «والذي يدعي أنه خاتم الولاية، وأنت تقلده فهو دائر حوالي عوالم الشطح، فخاتم النبوة وهو محمد ﷺ، وخاتم

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٥/ ٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى علل الحديث.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/ ٢٢٠٩).

الولاية وهو محمد المهدي» الموعود بظهوره سلام الله تعالى عليه.

ولعمري طال الكلام في هذا المقال، ولكن لما أرى بعض الفقراء تمسكوا ببعض معارف العرفاء، بل بعض العلماء شوشوا أذهان بعض الأغبياء.

حتى وقعوا فيما وقعوا وخلعوا ربقة التكليف عن رقابهم وصاروا بحيث لا يمكن تخليصهم من حجابهم، طولت هذا حتى يصححوا توحيد الأفعال ليتعده لمراتب أخر فوق ذلك على ما يليق.

ويعتبر عند المحققين الذين تمسكوا بالكتاب والسنة وزنوا بهما أقوالهم وأفعالهم ومكاشفتهم ومشاهدتهم، وما رأوا منها غير موزون بهذين الميزانين ولم يثبت بهما منها بشاهدين لا يعتبرونه ولا يلتفتون إليه وينفونه.

قال سيد الطائفة جنيد البغدادي قدس سره: «مذهبنا هذا بأصول الكتاب والسنة».

وقال: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ».

وقال أبو الحسن النوري قدس سره: «من رأيته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه»

وقال أبو سعد الخزاز: «كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل».

وقال أبو حمزة الخراساني قدس سره: «لا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله وأحواله».

وقال أبو العباس أحمد الدينوري: «لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن».

وقال أبو القاسم النصرابادى: «إذ بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى نار فإذا رجعت عن تلك الحالة فعظم ما عظمه الله تعالى».

وقال أيضًا: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدعة».

وقال بعض الكبار -لا نذكر اسمه-: «كل حقيقة ردتها الشريعة فهو زندقة».

وقال أبو ا لقاسم: «إن المشايخ يجمعون علي تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طريق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب ديانته متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله تعالى فيما يدعيه مفتونا هلك في نفسه وهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله».

وقال: «يجب على الطالب أن يحصل من العلم ما يصح به اعتقاده على مذهب أهل السنة والجماعة وما يحترز به عن شبه المبتدعة من الشبهة والمعطلة والجبرية والقدرية والوجودية والتناسخية وسائر المذاهب الردية من الروافض والخارجية وغيرها.

فإن القلب إذا كان مكدرا دائما بظلمة البدعة الاعتقادية لا ينورها نور الطاعات.

فهل رأيت أو سمعت أن مبتدعا وصل إلى مقام من مقامات الرجال أرباب الكمال؟

وكل المشايخ المعارفين كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة موافقين مع العلماء المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقال الشبلي: «دع الأنوار فهي حجاب العين، ورأس مقام الخيال، ولكن الذي يغني ويغني ينال خصوص أحوال الرجال.

ويتحقق السالك أن نور الأنوار مترہ عن جميع الألوان التي تظهر على الأنوار في أستار اللطائف السبعة من لون الكدرة والزرقة والحمرة العقيقة والصفرة والبياض والسواد والبزاق والحضرة، ومترہ أيضًا عن الأشكال القمرية والشمسية.

وسائر ما يصل إلى الأفهام البشرية، ومقدس عن الظهور في صورة نورية أو خيالية أو مثالية، فكل ما يشاهد الإنسان ببصيرته أو يتعلق بمعرفته فالحق سبحانه أعلى من ذلك.

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم فهو تعالى مترہ عن كيف وكم وأين ومتى أزلية فوق ما تدركه العقول من معنى الأزل، وأبدية أقصى ما تفهمه الأفهام من معنى الأبد.

هو الأول بلا ابتداء وهو الآخر بلا انتهاء، وهو الظاهر بلا شبه ومثال، وهو الباطن من غيرس إمكان إدراكه بالخيال، مترہ عن الحلول في الأشباح، مقدس عن السريان في الأرواح.

من قال اتحد بالكون فقد ألحد، ومن قال أنه ليس له تعين في ذاته إلا في الكون فقد أفسد العقائد وأجحد.

ما هو كان في ذاته متعينا قبل كائناته عالما بذاته وبما يظهر من مخلوقاته على مقتضيات صفاته تجلى بذاته على ذاته قبل ظهور مظاهر

صفاته وأراد إظهار كمالاته على صفحات الأرواح والأجسام من مكوناته فأظهر أو لا مظهر المظاهر ونور الأنوار روح حبيبه محمد ﷺ.

ثم أظهر من فيض نوره ما أظهر من عوالم الأرواح والأنوار ثم اقتضت حكمته لإكمال معرفته تعليق مظاهر صفات الذات بظاهر صفات الأفعال، فخلق الأكوان من عوالم الأجسام آخر الأجسام آخر خلق جسد آدم عليه السلام ليكمل تربية الأرواح في عوالمها على ما يشير إليها حديث جابر.

ثم علق الأرواح بالأنفس تعلق التعشق بعد تلطيف العناصر وسر سوراتها بالقدرة الكاملة والحكمة الشاملة، وجعلها على هيئة وحدانية قابلة لفيض وحدانيته.

وبعد تلطيف تلك الهيئة الوحدانية هيئة أخرى أقدس، فالهيئة الوحدانية الأولى التى حصلت العناصر هي اللطيفة القابلية، يقال لها المزاج على لسان الحكماء، والثانية يقال لها: اللطيفة النفسية بلسان العرفاء.

ثم جعل القلب اللحمي الصنوبرى الشكل الذى هو ألطف من جميع أعضاء البدن مجتمع هاتين اللطيفتين: حسن خلق في وسطه منبع الحيوة الحيوانية دما على مثال عين ينبع منها الماء فيجرى في الأنهار فينبع من ذلك الدم أنهار الدماء.

ويدخل في العروق الكبار والشرايين، وإلى الأعضاء وينشعب من العروق الكبار عروق صغار، وهكذا إلى أن يسري الدم سائر الأعضاء.

وجعل الدم الساري في الأعضاء مركبا لبخار لطيف، وذلك البخار هو النفس الإنساني، وهو بعينه الروح الحيواني، فالروح الحيواني هو النفس الإنساني، والنفس الإنساني مركبا للروح الإنساني.

ثم لطف هاتين اللطيفتين مع انضمام الروح الإنساني إليهما فخلق منهما لطيفة أخرى جامعة بين النفس والروح لها وجه إلى الروح ووجه إلى النفس وهي اللطيفة القلبية ثم صفاها ولطفها فخلق منها لطيفة أخرى أصفى.

وهي اللطيفة السرية ثم باعتبار تجرد الروح قبل تعلقه بالقلب والنفس خلق من لطافتها لطيفة أخرى وهي اللطيفة الخفية ثم من ترادف أنوار الصفات حصلت لطيفة أخرى وهي اللطيفة الأخفى.

ثم أنوار هذه اللطائف السبع التي هي في أستار ألوان الكدرة الدمائية والزرقة الصافية اللازوردية والحمرة الصافية العقيقية والبياض الصفي الضعيف اللطيف الذي هو ألطف من المصنوعات البشرية والصفرة الليمونية والسواد الصافي البراق النازل.

من الجبهة الفوقية والحضرة الصافية التي هي من فيض الحياة الأزلية جعل ملابس نوريه للحقيقة الإنسانية التي يشير إليها كل واحد بقوله أنا يربيها الحق تعالى بهذه الأنوار التي هي من فيوض الصفات الذاتية والفعلية، فالربوبية بفيض اسمه الأول اقتضت إيجاد هذه اللطائف وإخفائها تحت الأستار، وبفيض اسمه الآخر افتضت إظهار لمعرفة الأصرار المودعة في جميع الأطوار من خلق كل الأقطار في مظاهر الصفات الفعلية بالأحكام والآداب والأخلاق والأذكار والدعوات المشتملة عليها آيات كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ.

وما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه سر مودع ينفع العارف في معرفته بربه، وما من حكم ولا أدب ولا خلق ولا ذكر ولا دعاء اشتمل عليه الكتاب والسنة إلا في استعمالها ظهور نور ينكشف به سر من الأسرار المودعة في الكائنات لمعرفة صانعها، وفي قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1]. إلى آخره.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾[2] إشارة إلى ما قلنا، ولكن تفصيل هذا الإجمال يقتضي الإطناب في الشرح والمقال.

وتنبه لما قد قلت لك إن الحق سبحانه وتعالى متره ومقدس عن جميع ما ينكشف على الأسرار فضلًا عما يطرأ على الخيال من الأنوار.

واحفظ بيتي الشبلي قدس الله تعالى سره:

وعلو همتك بالفناء

إن كنت طالب الوصل واللقاء

واعلم أنك ما دمت متمنيًا وقوع شيء مالك فأنت لست بسالك.

في طريق الغناء فجرد همتك عن المتمنيات من الكشوفات الكونية والكرامات، واتبع بظاهرك وباطنك وسرك حبيب الله المصطفى الذي

---

(١) سورة فصلت: آية ٥٣ .

(٢) سورة الشورى: آية ٥٢ .

ما زاغ البصر وما طغى عن مشاهدة ربه العلي الأعلى، ولم يلتفت إلى ما عرض عليه من الآخرة والأولى عليه السلام، فإنه هو المنفرد بالكمال الذى لا يحيط به إلا الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1].

واعلم أن الوحي نوعان: ظاهر وباطن، أما الظاهر فثلاثة أقسام:

ما ثبت بلسان الملك فوقع في سمعه بعد علمه بالمبلّغ بآياته قاطعة، وهو الذى عليه بلسان الروح الأمين -عليه السلام-.

والثاني: ما ثبت عنده ووضح له بإشارة الملك من غير بيان الكلام، كما قال ﷺ: «أن روح القدس نفثت في روعي أن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب».

والثالث: ما يبدء لقلبه بلا شبهة ولا مزاحم ولا معارض بإلهام من الله تعالى.

كما قال الله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[2]، وهذا وحي ظاهر كله مقرور بما هو ابتلاء، أعني به الابتلاء في درك حقيقته بالتأمل، وإنما اختلف طريق الظهور.

وهذه الأقسام الثلاثة من خواص النبى ﷺ، هي كانت حجة بالغة.

وإنما يكرم غيره بشيء منها، فحقه على مثال كرامات الأولياء فإنها ثبتت لحرمة النبى ﷺ.

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣-٤ .

(٢) سورة النساء: آية ١٠٥ .

وأما الوحي الباطن: فهو ما ينال النبى ﷺ باجتهاد الرأى بالتأمل في الأحكام المنصوص فاختلف في هذا الفصل، فأبى بعضهم من أن يكون ذلك من حظ النبى ﷺ، وإنما له الوحى الخالص الظاهر لا غير، وإنما الرأى والاجتهاد والرأى جميعا.

والقول الأصح عندنا هو القول الثالث وهو: أن الرسول ﷺ مأمور بانتظار الوحي فيما لو يوح إليه من حكم الواقعية ثم العمل بالرأى بعد انقضاء مدة الانتظار.

وهي: ثلاثة أيام إلا أن اجتهاده ﷺ لا يحتمل القرار على الخطأ، وغيره لا يعصم فإذا كان كذلك كان اجتهاده ورأيه صوابا بلا شبهة.

إلا أنا أخترنا تقدم انتظار الوحي لأنه مكرم بالوحي.

أما الإلهام في حق غير النبى ﷺ فليس بحجة ولا يجوز العمل به.

وقال بعض الناس يجوز العمل به لأن الله تعالى شرح قلبه المؤمن بالنور يهتدى بذلك النور إلى مصالح أموره.

ولهذا قال النبى ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى».

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1].

ولأنه لما جاز أن يلهم النحل على ما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٢٥ .

إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[١]، أولى أن يجوز إلهام المؤمن التقي ليهتدي به إلى ما هو الأنظر. وعامة العلماء احتجوا بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[٢].

ذمهم الله تعالى على اتباع الأماني بدون الحجة، ولأن ما يميل القلب إليه وبما يوسوس به نفسه وبما يوسوس به الشيطان على ما قال الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾[٣].

وربما يكون حقا والحق لا يعرف من الباطل إلا بالتأمل في الدليل.

ولأن الإلهام لو كان موافقا للشريعة فقد بينا أن شرط العمل بالقياس كان موافقا للشريعة، وإذا كان مخالفًا للشريعة لا يجوز اتباعه.

ولأنا لو جوزنا اتباع ذلك يؤدي إلى نصب الشريعة ابتداء، وهذا لا يجوز.

فعلى المؤمن رعاية حدود الشرع وحفظ الميزان، قال الله تعالى: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾[٤].

ويتبع ما عليه الدليل من الكتاب والسنة لا الإثارة من علم كما قال

---

(١) سورة النحل: آية ٦٨ .

(٢) سورة البقرة: آية ١١١ .

(٣) سورة الناس: الايتان ٤-٥ .

(٤) سورة الرحمن: الآيتان ٧-٨ .

تعالى: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[١].

قال ابن عباس: «هو خط كانت يخطه العرب في الأرض».

وقال ابن العربي: «ولم يصح».

وفى مشهور الحديث عن النبى ﷺ قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك».

ولم يصح أيضًا.

والأصح ما روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾. قال: «الخط».

قال ابن العربى: «واختلفوا في تأويله فمنهم من قال أنه بالإباحة، أي: جاء لإباحة الضرب لأن بعض الأنبياء كان يفعله.

ومنهم من قال جاء للنهى عنه لأنه ﷺ قال: «فمن وافق خطة فذاك».

ولا سبيل إلى معرفة طريق النبى ﷺ المتقدم فيه، فإذا لا سبيل إلى العمل به.

وحقيقته عند أربابه ترجع إلى صور الكواكب فيدل ما يخرج منها على ما تدل تلك الكواكب عليه من سعد أو نحس يحل بهم، فصار ظنا مبينًا على ظن، وتعلق بأمر غائب قد اندرست طريقه، وفات تحقيقه، وقد نهت الشريعة عنه، وأخبرت أن ذلك مما اختص الله تعالى به وقطعه عن الخلق، وإن كانت لهم قبل ذلك أسباب يتعلقون

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٤ .

بها في درك الأشياء المغيبة فإن الله تعالى قد رفع تلك الأسباب وطمس تلك الأبواب.

وانفرد نفسه بعلم الغيب فلا يجوز مزاحمته في ذلك، ولا يحل لأحد دعواه وطلبه عناء، لو لم يكن فيه نهي، وقد ورد النهي فطلبه معصية أو كفر بحسب قصد الطالب.

قلت: ما اختاره هو قول الخطابي، قال الخطابي: «قال فمن وافق خطه فذاك يحتمل الزجر إذا كان علما لنبوته وقد انقطعت، فنهينا عن التعاطي».

لذلك قال القاضي عياض: «الأظهر من اللفظ خلاف هذا وتصويب خط من يوافق خطه لكن من أين تعلم الموافقة والشرع منع من التخرص وادعاء الغيب جملة؟

فإنما معناه: أن من وافق خطه فذلك الذي تجدون إصابته لا أنه يريد إباحة ذلك لفاعله على ما تأوله بعضهم.

وحكى مكى في تفسير قوله: «كان نبى من الأنبياء يخط» أنه كان يخط «بإصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يزجر».

وقال ابن عباس في تفسير قوله: «ومنا رجال يخطون»: هو الخط الذي يخطه الحازي فيعطي حلوانا فيقول اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام معه ميل، ثم يأتي إلى الأرض الرخوة فيخط الأستاذ خطوطًا معجلة لئلا يلحقها العدد.

ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين فإن بقي خطان فهو علامة النجح وإن بقي خط فهو علامة الخيبة».

والله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن الله تعالى في التعليق بها، والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها وأخبر أنها جزء من النبوة، وكذلك الفأل.

وأما الطيرة والزجر فإنه نهى عنهما، والفأل هو: الاستدال بما سمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنًا، فإن سمع مكروهًا فهو طير، أمره الشرع بأن يفرح بالفأل ويمضي على أمره مسرورًا، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله.

وقد قال النبى ﷺ: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك»(١).

وقد روي عن بعض الأدباء (ذم الفال والزجر والكهانة في نظمه)، وهذا كلام صحيح إلا في الفأل فإن الشرع استثناه وأمر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما نظمه فيه، فإنه تكلم بجهل، وصاحب الشرع أعلم وأصدق وأحكم».

وأما الطيرة وهي: ما يتشاءم به من الفال الرديء، فإن النبى ﷺ يحب الفال ويكره الطيرة، عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طيرة وخيرها الفأل، قالوا وما الفأل؟ قال ﷺ: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»(٢).

وعن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يتفاءل ولا يتطهر وكان يحب الاسم الحسن، وكان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع يا رشيد»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث نافع بن جبير (٥/ ٣١٢).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/ ٢١٧١)، باب الطيرة.

(٣) أخرجه ابن الجعد فى مسنده.

وقال ﷺ: «الطيرة شرك - قاله ثلاثا -، وما منا ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل»[١] وكذلك أمرنا ربنا بالتوكل حيث قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وبالصبر حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، لأنا في دار البلاء ويبتلي الرجل بقدر دينه.

ولذلك أنزل الله تعالى في كتابه المتشابهات، لأن من أقسام القرآن ما لا يدرك، إلا بالطلب، وهو الخفي، ومنه ما لا ينال بالطلب بل بالتأمل بعد الطلب وهو المشكل وهذا فوق الأول، ومنه ما لا ينال معناه إلا ببيان من جهة المجمل، ومنه ما لا طريق لدركه حتى سقط علمه وطلبه وأخر علمه يوم القيامة ووجب اعتقاد الحقيقة فيه وهو متشابه.

وعندنا لاحظ للراسخين في العلم من المتشابه إلا التسليم على اعتقاد حقيقة المراد عند الله تعالى.

وإن الوقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٤] واجب.

واعلم أن أهل الإيمان على طبقتين في العلم، منهم من يطالب بالإمعان في السير لكونه مبتلًا بضرب من الجهل، ومنهم من يطالب بالوقف لكونه مكرمًا بضرب من العلم فأنزل المتشابه تحقيقًا للابتلاء.

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٢ .

(٣) سورة الزمر: آية ١٠ .

(٤) سورة آل عمران: آية ٧ .

وهذا أعظم الوجهين بلوى، وأعمهما نفعًا في الدنيا بالأمن عن الوقوع في الزيغ والزلل لأن هذا ينشأ من العبودية، والابتلاء بالإمعان في السير ينشأ من العبادة.

والعبودية قد تسقط والعبودية لا تسقط في الدارين، فإن العبودية أن لا يرى منطرفًا في الحقيقة إلا الله تعالى، فيفوض أمره إلى الله تعالى أفقره وأغناه، وغير ذلك فإن المتصرف في الحقيقة هو الله تعالى.

فإنه خالق كل شيء ضره ونفعه وحلوه ومره، مرضه وصحته، شبعه وجوعه، فيجب على العبد التسليم في كل حال فيكون الوقفت تفويضًا وتسليمًا إلى الله تعالى، فيكون أعظم فيه وجه آخر أن هذه الدار دار الابتلاء، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1].

والابتلاء من الله تعالى إظهار ما علم من المكلف على ما علم، والبليات أنواع بعضها فوق بعض، والمبتلون كذلك، قال النبى ﷺ: «إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلى الرجل بقدر دينه».

فلما كان المكرم بالعلم والاجتهاد أفضل ممن كان مبتلًا بالجهل كان ابتلاؤه أعظم، فكان فائدة الخطاب بالمتشابه ابتلاء الراسخين بمنعهم عن التفكر والوصول إلى مطلوبهم من العلم.

كما أن ابتلاء الجهال بالحمل على تحصيله والإمعان فى طلبه.

لأن ابتلاء كل فرقة إنما يكون بما هو خلاف هواها وعكس

---

(١) سورة الملك: آية ٢ .

تمناها، لأن حكم الابتلاء الصبر، فلما كان الابتلاء أعظم كان الصبر فيه أقوى فيكون نفعه أعم، ولهذا وعد الله تعالى في الصابرين أجرهم بغير حساب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى خلق في الجنة منازل في الهوى غير متعلقة بشيء لا يسكنها أحد بصلاته ولا بصومه، قالوا: ومن يسكنها يا رسول الله؟ قال أهل البلاء، قالوا: وكيف يدخلونها؟ قال: كما يطير الطير».

فينبغى أن يكون العلماء على الحكمة في العلم، وهي نتيجة تكميل القوة العقلية، ويكون فى التوسط بين الجربذة والغباوة، فتوسطهما أن ينتهي القوة العقلية إلى حد يمكن للعقل الوصول إليه، ولا يتجاوز عن الجد الذي وجب أن يتوقف عليه.

ولا يتعمق فيما ليس من شأنه التعمق، كالتفكر في المتشابه والتفتيش في مسألة القضاء والقدر والشرع بمجرد العقل في المبدأ والمعاد، كما هو دأب الفلاسفة فيحفظ حدود شرعه في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[٢]، فيكون العامل بالكتاب والسنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة، على ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أنزل القرآن على عشرة بشيرا ونذيرا، وناسخا ومنسوخا، ومحكما

(١) سورة الزمر: آية ١٠ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٩ .

ومتشابه، وموعظة ومثلا، وحلالا وحراما، فمن أبشر ببتيره، وانتذر بنذيره.

وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه، واقتصر على محكمه، ورد علم متشابهه إلى عالمه واتعظ بعظته، واعتبر بمثله، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فأولئك من المؤمنين حقًا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وهو وارثي ووارث الأنبياء قبلي، ولا يزال في ضمان الله تعالى وكنفه، وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة، ونزلت عليه السكينة، ويحشر في زمرتي، وتحت لوائي»[1].

وقال النبى ﷺ: «من قرأ القرآن فقد كلم الله تعالى».

وقال: «لما أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام وهي ألف سورة كل سورة ألف آية قال: يا رب من يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه؟

فقال تعالى: إني أنزل كتابًا أعظم من هذا.

قال: على من يا رب؟

قال: على خاتم النبيين.

قال: وكيف يقرأ أمته ولهم أعمار قصيرة؟

قال: أُيَسِّرُ عليهم حتى يقرأ صبيانهم.

قال: يا رب فكيف تصنع؟

قال: إني أنزلت من السماء إلى الأرض مائة وثلاثة كتب،

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول فى أحاديث الرسول تحقيق الدكتور أحمد السايح والدكتور السيد الجميلى (٢/٢٠٣).

خمسين على شيث، وثلاثين على إدريس، وعشرة على آدم، وعشرة على إبراهيم، والتوراة عليك، والزبور على« داود، والإنجيل على عيسى، وذكرت الكائنات في هذه الكتب، واذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد ﷺ، واجمع ذلك كله في مائة وأربعة عشر سورة، واجعل هذه السور في ثلاثين جزء والأجزاء في سبعة أسباع، ومعنى هذه الأسباع في سبع آيات الفاتحة، ثم معانيها في سبعة أحرف وهي بسم الله، ثم ذكر كله في آلم الحمد لله الذي أنزل الكتاب الموعود في التوراة على محمد ﷺ».

ومن الابتلاء نوع رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «أن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه»[١].

ومنه ختم القلب، وأما مغنى هذا الختم فعلى ثلاثة أوجه لثلاث طوائف من المتكلمين.

فأما الجبرية فقد جعلوا ذلك من الله تعالى منعًا عن الإسلام والمعرفة وجبارًا على الكفر والنكرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[٢].

وهذا منهم جرى على مذهبهم الفاسد في أن العباد مجبورون، ولا فعل لهم اختيارًا، وفساد كلامهم ظاهر.

وأما المعتزلة فقد جعلوا ذلك إعلامًا محصنا على القلوب مما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٢٩٧).

(٢) سورة يس: آية ٦٥ .

يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم.

ولا يدعون لهم بخير، كختم الكتاب أو الباب، إعلام عليه بعلامة مجردة، وجعلوا ذلك أيضًا مجرد شهادة من قولك كتب فلان شهادته.

وختم عليها أي أثبت شهادته فيقولون معناه شهد الله تعالى عليها بكفرها وأظهر ذلك للملائكة.

وهذا أيضًا منهم جرى على مذهبهم الفاسد في أن أفعال العباد ليست بمخلوقة الله تعالى، ولا هي بقضاء الله تعالى وتقدير ومشيئته وإرادته.

وأما أهل السنة والجماعة - قدس الله تعالى أرواحهم - فقد قالوا: إنه إثبات فعل الكفر وإيجاده، وحاصل الختم عند أهل الحق عقوقه من الله تعالى لا تمنع العبدمن الإيمان جبرًا ولا تجعله على الكفر كرهًا.

بل هي زيادة عقوبة له على سؤ اختياره وتماديه في الكفر وإصراره، يحرم بها عن اللطف الذي يسهل به فعل الإيمان وترك العصيان ويدل عليه أنهم بقوا مخاطبين بالإيمان بقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وملومين عن الامتناع بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة الحديد: آية ٧ .

(٢) سورة الانشقاق: آية ٢٠ .

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾[١].

وموبخين على الكفر بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[٢]، أي ما حمله على الكفر ولو صاروا مجبورين، وعن الإيمان عاجزين، لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب.

كما في الختم على الأفواه يوم الحساب، لما عجزوا به حقيقة عن الكلام، لم يبق الخطاب بالكلام.

وتحقيق المذهب: إثبات فعل العبد، وتخليق الله تعالى.

والمذكور في هذا المعنى في كتاب الله تعالى بثلاثة أشياء:

الختم والطبع والكنان وفي كل واحدة منها ذكر فعل نفسه وفعل العبد.

أما في الختم فقد قال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٣] وهذا إثبات فعل نفسه، وقال قبله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٤].

وهذا إثبات فعلهم.

وقال في الطبع: قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[٥].

فقوله طبع فعله، وقوله بكفرهم فعلهم.

وقال في الكنانة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، وقال قبله:

---

(١) سورة النساء: آية ٣٩ .

(٢) سورة عبس: آية ١٧ .

(٣) سورة البقرة: اية ٧ .

(٤) سورة البقرة: آية ٦ .

(٥) سورة النساء: آية ١٥٥ .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[١].

ويجب على المؤمن أن يكون على ذلك الاعتقاد، «والله يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان: أن لا يوفق العبد على ما يرضاه عنه، وهو عدل منه، وهو عقوبة المخذول على المعصية.

ولا يقال سلب الإيمان من عبده المؤمن قهرًا وجبرًا، ولكن يقال العبد يدع الإيمان إذا تركه فحينئذ يسلب منه الشيطان، كذا في الفقه الأكبر».

والكفار يخاطبون بالأمر وبالإيمان لأنه عليه السلام بعث إلى الناس كافة لدعوة الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢].

وبالمشروع من العقوبات كالحدود والقصاص عند تقرر أسبابها، لأنها للزجر وهم أليق بها، وبالمعاملات.

لأن المطلوب أمر دنيوي وهم أليق بها، وقد أثروا الدنيا على العقبى.

وبالشرايع كالصوم والصلاة وغيرهما في حكم المؤاخذة في الأخرة بلا خلاف فيعاقبون علي ترك اعتقاد وجوب العبادات في الدنيا، كما يعاقبون على أصل كفرهم.

فثبت أن الخطاب يتناولهم في حق المؤاخذة، وأما وجوب الأداء في أحكام الدنيا، فكذلك عند البعض.

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٧ .

(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٨ .

والصحيح أنهم لا يخاطبون بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات كالصلاة والصوم ولا يعاقبون بتركها فإن وجوب أداء الشرائع يترتب على الإجابة بالإيمان، وما لا يحتمل السقوط كالإيمان فإنهم يخاطبون به اتفاقًا.

والوعيد في تعذيب الكفار في النار وتخليدهم فيها كثير في كتاب الله تعالى.

فقد أغتر من أهل الضلال كثير بحديث ابن العاص حيث قال: «ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا فيها أحقابًا».

قال صاحب الكشاف: «وقد بلغنى أن من اغتر بهذا الحديث، فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار.

وهذا ونحوه والعياذ بالله تعالى من الخذلان المبين، زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبهًا على أن نعقل عنه.

ولئن صح هذا عن «ابن العاص، فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير وذلك خلق جهنم» وصفق أبوابها.

وأقول: ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبي طالب ما يشغله عن تسيير هذا الحديث».

وقال البغوي: وعن ابن مسعود قال: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»، وعن أبى هريرة مثله.

ومعناه عند أهل السنة والجماعة إن ثبت، أن لا يبقي فيها أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدًا».

كذا في معالم التنزيل في أواخر سورة هود في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1].

الحذر الحذر من أهل التلبيس الذين يفسقون في أحكام القرآن بالتأويلات الباطلة، كما قال الله تعالى في حق أهل التحريف في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2]،

قيل المراد بالتحريف: إلقاء الشبهة الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وجر اللفظ من معناه الحق إلى الباطل بوجوه الحيل اللفظية.

كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم، وهذا هو الأصح، كما قال الفخر بعد ما ذكر في كيفية التحريف وجوها.

ومنها ما ذكره عمرو النسفي في تيسيره في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[3].

ثم إن أهل الإباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ على النفع والإباحة على الإطلاق.

وقالوا لا حظر ولا حجر ولا نهي ولا أمر، وإذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة سقطت الخدمة وزالت الحرمة، فالحبيب لا يكلف حبيبه ما يتعبه، ولا يمنعه ما يريده ويطلبه.

---

(١) سورة هود: آية ١٠٦ .

(٢) سورة النساء: آية ٤٦ .

(٣) سورة البقرة: آية ٢٩ .

وهذا منهم كفر صريح، وخروج عن الإيمان بإفصاح، فقد نهى الله تعالى وأمر وأباح وحظر ووعد وأوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة، والدلائل متظاهرة.

فمن حمل هذه ا لآية على الإباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكلية، فالحمل الصحيح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: «خلق لمنافعكم ومصالحكم»، وشرحه أن جميع ما في الدنيا لدفع حوائجكم، وقوام معاشكم، فلا بقاء عادة للبشر إلا بالطعام والشراب، ودفع الحر والبر بالأكنان والأثواب، وقد هيأ ذلك كله فيها لكم.

وفيها أيضًا زوائد على الضروريات من تناول الطيبات والتجمل بأنواع الزينات، والتقلب في وجوه اللذات، والإستراح بأنواع الراحات، فالسماء سقفكم، والشمس سراجكم، والقمر نوركم، والنجوم هديكم، والريح روحكم، والغيث غياثكم، والثلج ثلجكم، السحاب ظللكم، والأرض بساطكم.

والأنهار والبحار سقاكم، والحبوب والثمار أرزاقكم، والأورواق والرياحين طيبكم، والرياض والحدائق منترهاتكم، والأدوية علاجكم، والثياب النفيسة ملابسكم، والجواهر حليكم واللحوم مأكلكم، والأنعام والسفن مركباكم.

ثم إنكم تملكون ما كان من جنس القيود والحطب، وما فى إيدى الملاك بالعقود المشروعة الصحيحة وتنتفعون بالأعيان المملوكة للأغيار.

بالإعارة والإجارة والإباحة فيما شرع فيه ذلك، وتنتفعون بالكل بالنظر إليها، وشم رياحها.

وأما الحيوانات الضارة المؤذية، والأعيان النجسة الخبيثة، ففيها تذكير عقوبات الجحيم، ومعرفة النعم فى أضدادها، وهو نفع عظيم، وأعظم من ذلك كله، نفع الاستدلال بها على وحدانية الله تعالى، قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[١].

فافهم ولا تغفل، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

ومنها ما ذهب إليه الروافض من إباحة نكاح المتعة، مستدلين بقوله تعالى:

﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٢].

والصحيح ما ذهب إليه جمهور العلماء من نسخ نكاح المتعة بعد ما كان مباحًا فى ابتداء الإسلام، ثم نسخ.

كما قال ﷺ: «من كان عند شىء من هذه النساء التى تمتع فليخل سبيلها»[٣].

وأجمع العلماء على تحريم ذلك النكاح، وما حكى عن مالك من جوازه فخطأ، ولا يلتفت إليه.

ويجب على المؤمن أن يحذر من العقائد الفاسدة، ويراجع عند عروض الشبهة إلى باب العالم، لحل الشبهة، لأن كل قرن لا يخلو من علماء الدين الذين كانوا خلفاء الأنبياء.

وفى تفسير حقايق الدقايق فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة فصلت: آية ٥٣ .

(٢) سورة النساء: آية ٢٤ .

(٣) انظر: البخارى (٧/ ٤٨١) كتاب المغازى.

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾[(١)]

قال أبو بكر الوراق: «لم يزل فى الأمم أخيار وبدلاء وأوتاد على مراتب.

وهم الذين كانوا مرجوعين إليهم عند الضرورات.

كما ذكر النبى ﷺ أنه قال: «فى هذه الأمة أربعون على خلق إبراهيم، وسبعة على خلق موسى، وثلاثة على خلق عيسى، وواحد على خلق محمد، فهم على مراتبهم، سادات الخلق».

وعن أبى الدرداء: «أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة، أبدل الله تعالى مكانهم قومًا من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع، وحسن النية، وسلامة قلوبهم، والنصيحة لجميع المسلمين، والنصيحة لله تعالى ابتغاء مرضاة الله تعالى، بصبر وحلم وعلم ولب وتواضع فى غير مذلة، فهم الخلفاء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

كما قال النبى ﷺ: «علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل»[(٢)].

فالمؤمن العالم العامل هو الولى، فلا تخلو الدنيا إلى قيام الساعة منهم، وإن مات واحد منهم أبدل آخر مكانه، ولذلك سمى البدلاء، وفى حلية الأولياء عن النبى ﷺ أنه قال: «خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال،

---

(١) سورة المائدة: آية ١٢ .

(٢) ذكر قول أبى الدرداء الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (١/ ٢٦٣).

كلما مات رجل واحد أبدل مكانه آخر».

وأكثر ما قيل فى القرن مائة سنة، والأقل أربعون، والأوسط يحمل على الأحاديث أن القرن سبعون سنة وهو قول على، لأن رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من البعث.

ويجوز أن يعلم الولى أنه ولى، ويجوز أن لا يعلم.

وفى اعتقاد الطحاوى: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونقول: نبى واحد أفضل من جميع الأولياء».

وبالجملة: إن الله تعالى يدفع عن الخلق بسبب الأبرار والأتقياء والصالحين والصديقين، وهم المرجوعون.

ولولا هؤلاء لهلك الناس أجمعين، فلا بد لنا من تعظيمهم، وتبجيلهم والرجوع إليهم عند المصائب لنتسلى منهم.

من تهاون بالصالحين ذهبت آخرته، ومن تهاون بالسطان ذهبت دنياه، ومن تهاون بالإخوان ذهبت مروءته.

التواضع والمسكنة أحسن لأهل الدين من العالمية المتورعين، كما وجبت المخالفة والبغض على المبتدعين الملحدين وعن الحق معرضين ممن كان على صورة الصالحين، ولكن فى باطنهم واعتقادهم مغبونون حفظنا الله وإياكم من معتقدات الضالين المضلين الدجالين الكذابين، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

فيا أرباب الدعوى أين المعانى، ويا أرباب المعرفة أين المحبة، ويا أرباب المحبة أين الطاعة.

قال أبو بكر الواسطى: «من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا تجده حلاوة ذكره، ومن المحال أن تجد حلاوة ذكره ثم تشتغل بغيره».

فقد تتبعت فما وجدت ذلك كله إلا فى العلم والاعتراف بالجهل.

فسئل الشعبى عن مسألة فقال: لا أدرى، فقالوا له: لا تستحى وأنت إمام العراقيين، قال: «إن الملائكة كانوا فى الحضرة فقالوا: لا علم لنا، فمن أنا، وقال: لا أدرى نصف العلم».

وسئل أبو يوسف القاضى عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا ثم تقول لا أدري، فقال: «إنما أرتزق بقدر علمي، ولو أعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال كل الدنيا».

وسئل أبو بكر العياض عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: ليس المنبر موضع الجهال، فقال: «إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء».

وحكى أن عالمًا سئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقال السائل هذا ليس مكان الجهال، فقال العالم: المكان لمن يعلم شيئًا ولمن لا يعلم شيئًا، فأما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له.

ويجب أن يعتقد أن الذنوب تغفر ما كان قبل الإسلام، فإذا أسلموا جرت عليهم أحكام الإسلام فمن أتي بذنب أخذ به، كما قال الله تعالى في آخر سورة الأحقاف من قول الجن: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [1].

---

(١) سورة الأحقاف: آية ٣١ .

قال بعضهم لفظة: ﴿مِن﴾ هنا زائدة يغفر لكم ذنوبكم، وقيل هي على أصلها، وذلك أن الله تعالى يغفر من الذنوب ما كان قبل الإسلام.

واختلفوا في حكم مؤمني الجن، فقال قوم ليس لهم ثواب إلا نجاهم من النار، وتأولوا قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وإليه ذهب أبو حنيفة.

وحكى عن أبى الليث قال:

«ثوابهم أن يجار من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابًا مثل البهائم».

وعن أبى الزياد قال: «إذا قضى بين الناس قيل لمؤمن الجن: عودوا ترابًا».

وقال آخرون: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وهذا هو الصحيح، وهو قول ابن عباس.

وإليه ذهب مالك، وابن أبي ليلى.

وقال الضحاك:

«الجن يدخلون الجنة، ويأكلون، ويشربون».

وقال ابن حبيب: «للجن ثواب وقرأ لهم: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[1]، قال: «فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن».

وقال عمر بن عبد العزيز:

«إن مؤمني الجن حول الجنة في مريض ومرحاب وليسوا فيها - يعنى الجنة-».

---

(١) سورة الرحمن: آية ٧٤.

وروى أن الجن ثلاثة أصناف؛ منهم من لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء، وصنف على صورة الحيات والكلاب، وصنف يرتحلون ويضعنون.

ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهوديًا فأسلموا، قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الإنس؛ فمنهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة أصنام، وفى مسلمهم مبتدعة، ومنهم من يقول بالقدر، وبخلق القرآن، ونحو ذلك من المذاهب والبدع.

وأطبق المحققون على أن الكل مكلفون، سئل ابن عباس: هل للجن ثواب؟، فقال: نعم لهم ثواب وعليهم عقاب.

فلا بد من قراءة القرآن، والتماس غرائبه، كما قال النبى ﷺ: «اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه»(١).

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «والذى بعثنى بالحق نبيًا -بشيرًا ونذيرًا- لتفترقن أمتى عن أهل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة، كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار، فإذا كان ذلك فعليكم بالقرآن عز وجل.

فإن فيه نبأ ما كان قبلكم وبيان ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم، من خالفه من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وشفاؤه النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستقيم، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٦/ ١١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢/ ١٣٢٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٣٢).

وفى حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده، قال: فقلت: يا رسول الله فما تأمرنى إن أدركت ذلك؟

قال: تعلم كتاب الله تعالى، واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك.

قال: فأعدت عليه ثلاثًا.

فقال ﷺ ثلاثًا: «تعلم كتب الله تعالى واعمل بما فيه، ففيه النجاة»[١].

وقال على كرم الله وجهه: «من فهم القرآن فسر به جمل العلم»، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها.

وقال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢] أراد به الفهم فى القرآن[٣]

فهذه الأمور تدل على أن فى فهم القرآن ومعانيه مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغاً، وأن الذى نقل من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه.

فأما قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبؤ مقعده من النار».

وقول أبى بكر: «أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأى»[٤]، إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى.

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (٤/ ٩٦)، والنسائى فى السنن الكبرى (٥/ ١٨).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٩ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٣/ ٩٠).

(٤) أخرجه البغدادى فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٢/ ١٩٣).

فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاشتغال بالفهم، والمراد به أمورًا أخرى.

وهذا لا يمكن قطعًا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه:

أحدها: أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعًا من رسول الله ﷺ ومسند إليه، وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن، وأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهما فينبغى إذا أن لا يقبل على هذا الوجه.

ويقال لهم هذا تفسير بالرأى لأنكم لم تسمعوه من رسول الله ﷺ، وكذا غيرهم من الصحابة.

والثانى: وأما المفسرون من الصحابة فإنهم اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال، ولو كان الواحد مسموعًا لترك الباقي.

فقد تبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى ما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا فى الحروف التى هى أوائل السور أقاويل كثيرة والجمع بين الكل غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعًا؟.

الثالث: وأيضًا أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس، وقال: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»[(١)]، فإن كان التأويل مسموعًا كالترتيل ومحفوظًا مثله فما معنى تخصيصه بأن دعا له بالتأويل؟.

الرابع: وأيضًا قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[(٢)]، أثبت لأهل العلم الاستنباط، ومعلوم أنه وراء السماع.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (١/٦٦) باب وضع الماء عند الخلاء.

(٢) سورة النساء: آية ٨٣ .

فثبت إذا أن كل من رزقه الله تعالى فهما ومعرفة جاز له أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد معرفته وعلمه.

وغرضنا أن نبين أن معنى قوله عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار»، وحقيقة النهى عنه على وجهين:

وذلك أن الإنسان إذا كان له فى الشيء غرض ما ومال إليه طبعه وهواه، وما يمكنه أن يصل إلى ذلك الغرض إلا بدليل، فيتأول القرآن على وفق غرضه ورأيه وهواه ليحتج به على تصحيح ذلك الغرض الذى أراده، ولو لم يكن غرض ولا هوى ما كان يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

وقد يكون ذلك الغرض بدعة من البدع، وأراد صاحبها أن يقيمها فيحتج بثباتها ببعض آيات القرآن وهو يعلم أن تلك الآيات لا يتقاوم بها بدعته، فإن بدعته على غير وفق الآيات، وإن بدعته مخالفة للكتاب والسنة.

ولكنه يجادل ويمارى لإقامة بدعته المضلة التى هى مخالفة للكتاب والسنة، وهذا هو الذى يفسر القرآن برأيه، وهو الذى يتبوء مقعده من النار.

وقد تكون الآية محتملة، وفيها وجوه كثيرة، فيميل بفهمه الفاسد إلى الوجه الذى يوافق غرضه الفاسد فيرجح ذلك الجانب برأيه وهو جاهل بالوجوه التى بقيت من الآية.

فهذا الذى فسر القرآن برأيه وما ترجح عنده هذا الوجه إلا بسبب أنه موافق لغرضه، ولو كان مخالفًا لهواه لم يترجح عنده والذى يريد

أن يقيم بدعة مضلة تخالف الكتاب والسنة، ويستخرج من القرآن الآيات التى توافق غرضه ليجادل بها من يريد أن يدحض حجته على إقامة بدعته، ويتجنل الآيات التى تخالف غرضه، وهو عالم بأن بدعته مخالفة للكتاب والسنة، وإنما أراد بذلك أن تميل إليه قلوب الناس ويتبعوه فيما أراد من الأغراض الفاسدة.

وهؤلاء الدجالون فسروا القرآن برأيهم العالم والجاهل؛ أما الجاهل فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[١].

وأما العالم فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٢] معناه أنه على علم أن غرضه وبدعته مخالفة لما جاء به محمد ﷺ.

وقد يكون له غرضه صحيح فيطلب له دليلًا من القرآن، فيستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار، فيستدل بقوله ﷺ: «تسحروا فإن فى السحور بركة»[٣]، ويزعم أن المراد التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد الأكل.

وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول: قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[٤]، أن المراد به القلب القاسى، وهو يعلم أن المراد به فرعون، وهذا كثيرًا ما يستعملها الباطنة فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيترلون

---

(١) سورة فاطر: آية ٨ .

(٢) سورة الجاثية: آية ٢٣ .

(٣) صحيح البخارى باب بركة السحور حديث (٢/٦٧٨).

(٤) سورة طه: آية ٢٤ .

القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعًا أنه غير مراد به، فهذه الفنون أحد الوجوه المانعة من التفسير بالرأى.

فأما الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح، والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يختص باسم الرأى.

فمن لم يحكم ظاهر التفسر أولًا، وبادر إلى إستنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن برأيه، فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولًا ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر، فهو كم يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، والذى لا بد فيه من السماع فنون كثيرة لا تحصى.

منها الإيجاز بالحذف والإضمار، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[1].

معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ويظن أنهم ظلموا غيرهم.

وفى هذا كفاية لمن فهم وعقل.

فالقرآن بحر غامض ليس له قرار، ولو فسر المفسرون، وحقق المحققون، وتكلم المتكلمون، مدد الليل والنهار، لم يبلغوا لتفسير القرآن حدًا ولا نهاية.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥٩ .

وأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادًا والأشجار أقلامًا والملائكة والإنس والجن كتابًا لانكسرت الأقلام، ولنفدت البحار، ولماتت الكتاب، وكلمات الله تعالى لم تنفد، ولم تفرغ، ولم يبلغوا عشر عشر المعشار.

فمن هذا الوجه تفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير.

وقال أبو الدرداء: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة».

وقال حماد لأيوب: ما معنى قول أبو الدرداء، فجعل يفكر، فقلت: هو أن ترى له وجوهًا فتهاب الإقدام عليها، فقال هو ذلك، هو ذلك.

والبيان كله فى القرآن كما قال الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[١].

وقيل المراد من الآيات أنواع معجزات القرآن: منها جزالة لفظه، وفصاحة عباراته، وبلاغة نظمه، التى عجز عنها فصحاء العالم، ومنها أن الله تعالى جمع فى ألفاظ يسيرة معانى كثيرة.

وأنه تعالى أتى فيه جميع ما اشتمل عليه جميع الكتب المنزلة من السماء من الحكم والمواعظ والأحكام مع زيادة كثيرة غير موجودة فى تلك الكتب، كما قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»[٢].

---

(١) سورة البقرة: آية ٩٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، باب المفاتيح فى اليد (٦/ ٢٥٧٣).

ومنها أنه تعالى أدرج فيه ما أكمل به الدين من أحكام الشريعة، وآداب الطريقة، وأسرار الحقيقة، بحيث لم يترك دقيقة يحتاج إليها الكاملون الواصلون، قال الله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١].

ومنها الإخبار عن المغيبات إلى يوم القيامة، وظهر كثير منها فى عهد النبى عليه السلام وبعده إلى الآن وهذا كله معجزة عند جميع الخلائق.

والحاصل أن الإنسان خلق فى ظلمة الطبيعة، ثم أمر بالخروج من هذه الظلمة إلى نور الشريعة، ولذلك أنزل الكتب، وأرسل الرسل كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾[٢]... إلخ.

قال فى الكشاف: «والمعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكينهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع، وكأنه أمر خلقى وضرورى غير اختيارى، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٣].

فالدليل عليه أنه كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم، والله تعالى لا يذم فعله، والدليل عليه الثناء للمؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم، وحملوها على المكاره، وطلقوها من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين، ولا مانعين».

---

(١) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٢) سورة المعارج: آية ١٩.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٣٧.

وعن النبى ﷺ: «ما أعطى ابن آدم شح هالع، وجبن خالع»[١].

والأفعال الطبيعية الحجب، كما قيل: لما علم الله تعالى من طينية الإنسان، إن الأفعال والأقوال الطبيعية تزيد فى حجب الروح العلوى، أمرهم بالأفعال والأقوال الشرعية التى موضوعة فيها أنوار الشرع ليكون مزيلة لتلك الحجب.

كما أمر بنى إسرائيل أن يدخلوا الباب سجدًا ليكون مكفرًا لخطايا أعمالهم الطبيعية، وأن يقولوا حطة ليكون مكفرًا لخطايا أقوالهم الطبيعية، فتزول بسببه حجب الروح العلوى، فخالفوا أمره فازدادوا فى الحجب، فأنزل عليهم الرجز باتباع أهواء أنفسهم وبخروجهم عن أمر ربهم.

فاعلم أن أعمال الجوارح منها الحرام والحلال وكلاهما بين وبينهما المشتبهات، فلا بد من الورع من المشتبهات كى لا يقع فى الحرام، وصلاح الكل فى صلاح القلب، كما قال رسول الله ﷺ: «إن الحرام بين، وإن الحلال بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس.

فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»[٢].

---

(١) أخرجه ابن المارك فى الجهاد (١/ ٩٣).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٨).

قيل الإسلام: معرفة الله تعالى بلا كيف ولا شبيه، ومحله الصدر، ومصداقه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[١].

والإيمان: معرفة الله تعالى بالآنية والهستية، ومحلة القلب لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[٢]؛ يعنى الإيمان.

والقلب داخل الصدر، والمعرفة معرفة الله تعالى بصفاته، ومحلها الفؤاد، والفؤاد داخل القلب، (والتوحيد معرفة الله تعالى بالوحدانية، ومحلة السر، وهو داخل الفؤاد)، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[٣] الآية.

جعل الصد بمنزلة المشكاة والقلب بمنزلة الزجاجة، والفؤاد بمنزلة المصباح، والسر بمنزلة الشجرة، وداخل السر موضع يقال له الخفى، وهو موضع نور الهداية، ولا صنع للعبد فيه سوى أن الله تعالى إذا أراد أن يهدى عبده الضال يلقى نوره فى الخفى فيتلألأ ذلك النور، فهو معنى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٤].

ثم لا يسكن ذلك النور فيتلألأ إلى السر فيقوم للعبد فعل التوحيد، فيوحد الله تعالى، ويتبرأ من الأصنام، ثم يتلألأ ذلك النور إلى الفؤاد، فيقوم للعبد فعل المعرفة، فيكون عارفًا بالله تعالى بجميع

---

(١) سورة الزمر: اية ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات: آية ٧ .

(٣) سورة النور: آية ٣٥ .

(٤) سورة الزمر: آية ٢٢ .

صفاته، ثم يتلألأ ذلك النور إلى القلب فيقوم للعبد فعل الإيمان، ثم يتلألأ ذلك النور إلى الصدر فيقوم له فعل الإسلام، ثم ينتشر ذلك النور إلى الجوارح فيصرف العبد جميع جوارحه إلى ما خلقت له، فيكون على الاجتناب عن المعاصى والإئتمار بالأوامر، فإذا أصاب العبد إلى ذلك صار مؤمنًا تقيًا، فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١].

وتلك التقوى هى وصية الله تعالى لنا ولمن قبلنا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٢]، أى فيما وصاكم به من التوحيد والعمل بالشرائع.

واعلم أن التقوى أصل عظيم، كما قال النبى ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى»[٣]، فيها تمام النجاة، وبها الفوز إلى الدرجات، ولا كرامة إلا بالتقوى، ولا هداية إلا للمتقين.

والتقوى هى الإئتمار بأوامر الله تعالى والاجتناب عن المعاصى.

والنواهى والأوامر منها ما يتعلق بظاهر البدن كصلاة وزكاة وصوم وحج وإنفاق وإحسان وتواضع ووقار وحسن خلق وغير ذلك من الأعمال الظاهرة.

ومنها ما يتعلق بباطنه؛ وهى العلم والتوبة والتوكل والتفويض والتسليم والرضاء والصبر والشكر والحلم والتأنى والاعتبار

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣ .

(٢) سورة النساء: آية ١٣١ .

(٣) ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول تحقيق الدكتور زأحمد السايح والدكتور السيد الجميلى (٢/ ٢٠٧).

والإخلاص وغيرها من مساعى القلب.

وكذا النواهى منها ما يتعلق بالظاهر؛ وهى معصية الأعضاء السبعة من العين واللسان والأذن والبطن والفرج واليد والرجل.

ومنها ما يتعلق بالباطن؛ وهى معصية القلب من الجهل والكبر والعجب والسفه والظلم وحب الدنيا، ويتولد منه الحرص والبخل والرياء والسمعة والخيانة والنفاق والحقد والحسد ونحوها من الجنايات.

وكل هذه إما حق الله تعالى، وإما حق خلقه، مبنى على التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلقه، وبهما يحصل الدين، ويتم العبودية والعدل والمأمور به.

وهى وصية الله تعالى عباده.

ولذلك مصداق وعلامات، وهى ما قال الإمام أبو القاسم الحكيم السمرقندى: «إن تمام العبودية فى أربع خصال أحديها: أن يكون سرك بحيث لو ظهر على الخلق لا تستحى منه، وأن تكون علانيتك على طريق السنة والشريعة.

بحيث لو اقتدى بك كل الناس لرضيت به، وأن تكون معاملتك مع الناس بحيث لو فعلوا بك كما فعلت بهم لرضيت، والرابع: أن تتهيأ للموت، وتزود للآخرة بقدر الوسع، بحيث لو أتاك ملك الموت فى أى حال لرضيت به».

وكل ذلك يحصل من خوف الله تعالى وخشيته وهى أيضًا من العلم واليقين بعظمته وقدرته ووعده ولذا قال رسول الله ﷺ: «خير

ما ألقى فى القلب اليقين»[١].

واعلم أن للتقوى درجة هى أعلى درجاتها وأكملها، وهى الانقطاع إلى الله تعالى والاجتناب عما يشغله عن الله تعالى والأنس بدوام ذكره بقلبه، والخروج عن إرادة نفسه.

كما قال الإمام القشيرى فى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢].

أى كن لنا لا لك وقم بنا لا بك، لكن هذا بشرط السنة والشريعة التى هى طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه.

وهى طريق السلف كأبى حنيفة وأصحابه الذين بينوا على الناس شريعته ﷺ، وفصلوا عليهم حدوده، واتبعوه فى القول والعمل.

ويشترط أن لا يختلط فيه شيئًا من البدع لقوله ﷺ: «عليكم بسنتى، فمن رغب عن سنتى فليس من أمتى، وإياكم والمحدثات، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٣].

والطرق كلها مسدودة إلا اتباع النبى ﷺ فى سبيل هدايته فى بدايته ونهايته.

واعلم أن العبد لا يكون مؤمنًا عند الله تعالى حتى يصدق بقلبه جميع الشرايع، وينقاد لجميع أحكامه ولا يشك ولا يتردد فى شىء منها.

---

(١) ذكره البيهقى في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٤٢٧).

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٥٧)، وأبو داود فى سننه (٤/ ٢٠٠).

ولوجود ذلك التصديق والانقياد آثار وعلامات، منها أن لا يأمن من عذاب الله تعالى ويفرغ عن دينه ويسعى فى إصلاح دينه بتعلمه بقدر وسعه والعمل به.

ومنها أن لا يشق على قلبه إذا اخبره من أمر الشرع، ولا يتهاون، ولا يستكبر عنه بل يقبله، وإن كان ذلك الحكم فى غاية الصعوبة، والمخبر فى غاية الحقارة.

ومنها أن لا يتخذ هواه أميرًا والشرع له تبعًا بأن لا يأخذ من الشرع شيئًا إلا ما يريد هواه، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(١).

بل ينبغى أن يكون الشرع له أميرًا وهاه له أسيرًا، فلا يأخذ من هواه ومراده شيئًا إلا بإذن الشرع، وإن كان فيه نقصان المال والعرض والجاه. كما أخبر به الصادق ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

فإذا وجد فى العبد تلك العلامات كان مؤمنًا ومصدقًا بما جاء به هذا هو الإيمان المجنى من العذاب الأبدى ومن العقوبة السرمدية.

لكن بشرط أن يحفظ هذا ويحرسه من جميع ما يهدم هذا التصديق وينافيه مما يظهر من قلبه ولسانه وذلك كثير لا يعد، ومنها قول من قال بتخفيف عذاب الكفار فى النار بسبب حسناتهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الجاثية: آية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة: آية ٨٦ .

لأن حسنات الكفار محبطة بالكفر.

فإن قلت فإذا ما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر؟

قلت: المعنى فمن يغمل مثقال ذرة خيرًا يره من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره من فريق الأشقياء.

وأما حسنات الكفار فيأخذ ويجازى فى الدنيا بحسناته من حظ الدنيا ولا نصيب له فى الآخرة، كما قال ﷺ: «إن الكفار إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له حسناته فى الآخرة، ويعقبه رزقًا فى الدنيا على طاعته»، صدق رسول الله ﷺ، كذا فى مسلم[1].

وقال ابن عباس: «ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًا فى الدنيا إلا أراه الله تعالى يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته، فيغفر الله تعالى سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته».

قيل: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن الكافرين ثوابه فى الدنيا فى نفسه وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير، و(ومن يعمل مثقال ذرة شرًا من المؤمنين) يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وولده وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر.

كذا فى حاشية القاضى، ولب التأويل وغيره.

فلا يغرنك قول القاضى: «ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٢) من رواية أنس بن مالك.

على الكبيرة يؤثران فى نقص الثواب والعقاب»، فإنه مخالف لما ذكر من قبل.

وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

والحاصل (أن) الإيمان شرط لقبول العمل، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

وقال الإمام فى الفقه الأكبر: «وإذا أشكل على الإنسان شىء من دقائق علم التوحيد فينبغى له أن يعتقد فى الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالمًا فيسأله عنه ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالتوقف فيه ويكفر إن وقف»، هذا كلامه.

ومنها اعتقاد عدم سلامة الخلق من الإيمان والكفر بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق سليمًا من الكفر والإيمان.

ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له.

أخرج ذرية آدم عليه السلام من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية.

وكان ذلك منهم إيمانًا فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر بعد ذلك بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم.

---

(١) سورة هود: آية ١٥ .

ولم يجبر أحدًا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقهم مؤمنًا ولا كافرًا ولكنه خلقهم أشخاصًا والكفر والإيمان فعلا العبد، ويعلم من يكفر فى حال كفره.

فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنًا فى حال إيمانه من غير أن يتغير علمه وصفته.

وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها وهى كلها بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه، والمعاصى كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره بل بنهيه».

كذا فى الفقه الأكبر.

اعلم أن أفضل العلم علم الحال، وأفضل العمل حفظ الحال، وحفظ أحوال القلب من أهم المهمات وعليه مدار الأمور كلها، لأن الله تعالى وكل على قلب ابن آدم ملكًا فهو جاثم على أذن قلبه الأيمن يدعو إلى الخير يقال له الملهم، ولدعوته الإلهام، وسلط فى مقابلته شيطانًا وهو جاثم على أذن قلبه الأيسر.

يدعو العبد إلى الشر يقال له وسواس ولدعوته وسوسة، وهما لم يزالا يدعوان إلى تينك الدعوتين كما قال ﷺ: «للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة»[1]. يعنى نزلة.

وقال ﷺ: «ما من مولود يولد إلا ويولد مع قرينه من الجن،

(١) أخرجه الترمذى من طريق عبد الله بن مسعود في كتاب تفسير القرآن.

فقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم»[(١)].

ثم ركب الله تعالى فى بنية الإنسان طبيعة مائلة إلى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن وقبيح فذلك هوى النفس الصارف إلى الآفات.

فحدوث هذه الدعاة الثلاث جميعًا فى قلب العبد بالحقيقة من الله تعالى؛ (فتكون) أربعة أقسام:

أحدها: ما يحدث الله تعالى فى القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط.

والثانى: ما يحدث موافقًا لطبع الإنسان فيقال له هوى النفس.

والثالث: ما يحدث عقيب دعوة الملهم فيقال له الإلهام.

والرابع: ما يحدث عقيب دعوة الشيطان فيقال له الوسوسة.

ثم اعلم أن الخاطر الذى من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون بخير إكرامًا وإلزامًا للحجة، وقد يكون بشر امتحانًا وتغليظًا للمحنة.

والخاطر الذى يكون من قبل الملهم لا يكون إلا بخير إذ هو ناصح مرشد لم يرسل إلا لذلك.

والخاطر الذى من قبل الشيطان لا يكون إلا بشر إغراء واستزلالًا، وربما يكون بالخير مكرًا واستدراجًا.

والذى يكون من قبل هوى النفس، يكون بالشر وبما لا خير فيه.

فلا بد للعبد البتة من معرفة الفرق بين الخواطر ليتبع ما يكون من الله تعالى أو من الملهم.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٨/ ١٥٥).

ويجتنب ما يكون من الشيطان والهوى، فإنما يعرف العبد الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر بأن يزنه بأحد الموازين:

الأول: أن يعرض الذى خطر بباله على الشرع فإن وافقه فهو خير، وإن كان بالضد برخصة أو شبهة فهو شر.

فإن لم يستبن له بهذا الميزان فليعرضه على الاقتداء فإن كان فى فعله اقتداء بالصالحين فهو خير، وإن كان بالضد اتباعًا للطالحين فهو شر.

فإن لم يستبن له بهذا الميزان فليعرضه على النفس والهوى، فانظر إن كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع بلا نفرة خشية الله تعالى، وترهيب الناس فهو خير، وإن كان مما يميل إليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء إلى الله تعالى وترغيب فهو شر، إذ النفس أمارة بالسؤ لا تميل بأصلها إلى خير.

فإذا أتقن النظر فبأحد هذه الموازين يستبين خاطر الخير من خاطر الشر، والله تعالى ولى الهداية.

أعلم أنك إذا أردت أن تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان مجردًا، وبين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس، أو من قبل الله تعالى ابتداء.

فانظر فيه إن وجدته محكمًا ثابتًا بلا اضطراب على حالة واحدة، فهو من الله تعالى، أو من هوى النفس، وإن وجدته مترددًا مضطربًا فاعلم أنه من الشيطان.

وكان بعض العارفين يقول: «مثل هوى النفس مثل النمر قبلك إذا

حارب لا ينصرف إلا بقمع بالغ وقهر ظاهر، أو مثل الخارجي الذى يقاتل لأجل دينه تعصبًا لا يكاد يرجع حتى يقتل، ومثل الشيطان مثل الذئب إن طردته من جانب دخل من انب آخر».

والفرق من وجه آخر إن وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى، وإن وجدته يضعف ويقل بذكر الله تعالى فهو من الشيطان، كما ذكر فى تفسير: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾[1].

إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله تعالى خنس، وإن غفل وسوس.

والفرق من وجه آخر إن وجدته عقيب ذنب أحدثته فهو من الله تعالى إهانة وعقوبة بشوم ذلك الذنب قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]، هكذا يؤدى الذنب إلى قسوة القلب، أولها خاطر ثم يؤدى إلى القسوة والرين.

وإن كان هذا الخاطر مبتدأ لا عقيب ذنب كان منك، فاعلم أنه من الشيطان، هذا فى الأكثر، لأنه يبتدى بدعوة الشر ويطلب الإغواء بكل حال.

أما إذا أردت أن تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى وما يكون من الملك، فانظر فى ذلك فإن كان قويًا مصممًا فهو من الله تعالى.

---

(١) سورة الناس: آية ٤ .

(٢) سورة المطففين: آية ١٤ .

وإن كان مترددًا فهو من الملك إذ هو بمترلة الناصح يدخل معك من كل وجه، ويعرض عليك كل نصح رجاء إجابتك ورغبتك فى الخير.

وأما خاطر الخير الذى يكون من قبل الشيطان استدراجًا إلى أن يزيد ضرره على نفع ذلك الخير.

انظر إن وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية، ومع عجلة لا مع تأتى، ومع أمن لا مع خوف، ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة، فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه، وإن وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط.

ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن، ومع بصيرة العاقبة، لا مع عمى.

فاعلم أنه من الله تعالى أو من الملك.

إن النشاط خفة فى الإنسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه فى ذلك.

وأما التأنى فمحمود إلا فى مواضع معلومة معدودة، وذكر فى الخبر عن النبى ﷺ: «العجلة من الشيطان إلا فى خمسة: تزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجبت، وتجهيز الميت إذا مات، وقرى الضيف إذا نزل، والتوبة من الذنوب إذا أذنب»[1].

وأما الخوف فيحتمل أن يكون فى إتمامه وأدائه على وجهه وحقه وقبول الله تعالى إياه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٧٨) عن حاتم الأصم.

وأما بصارة العاقبة بأن يتبصر ويتيقن أنه رشد وخير ويحتمل لرؤية الثواب فى العقبى ورجائه.

ثم اعلم أن مكائد الشيطان مع ابن آدم فى الطاعة من سبعة أوجه:

أحدها: أن ينهاه عنها فإن عصمه الله رده بأن قال: إنى محتاج إلى ذلك جدًا، إذ لا بد لى من التزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التى لا انقضاء لها.

ثم يأمره بالتأخير، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: ليس أجلى بيدى، مع أنى إن أخرت عمل اليوم إلى الغد متى أعمله فإن لكل يوم عملًا.

ثم يأمره بالعجلة، فيقول له: عجل عجل لتتفرغ لكذا وكذا، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان.

ثم يأمره بإتمام العمل مراءاة للناس، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: ما الذى أعمل بمراءاة الناس، أفلا يكفينى رؤية الله تعالى؟

ثم يريد أن يوقعه فى العجب، فيقول: ما أعقلك وأيقظك، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: المنة لله تعالى فى ذلك دونى، وهو الذى خصنى بتوفيقه، وجعل لعملى قيمة عظيمة بفضله، ولولا فضله فماذا كان قيمة هذا العمل فى جنب نعمته تعالى على، وجنب معصيتى له؟

ثم يأتيه من وجه سادس وهو أعظمها، ولا يقف عليه إلا متيقظ فهو أن يقول: اجتهد أنت فى السر فإن الله تعالى سيظهره عليك ويلبس كل عامل عمله، وأراد بذلك ضربًا من الرياء، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: يا ملعون إلى الآن كنت تأتينى من وجه إفساد عملى.

والآن تأتينى من وجه إخلاصى لتفسده، إنما أنا عبد الله تعالى وهو سيدى إن شاء أظهر وإن شاء أخفى، وإن شاء جلعنى خطيرًا عزيزًا كبيرًا، وإن شاء جعلنى حقيرًا وذلك إليه ما أبالى إن أظهر ذلك للناس أو لم يظهره، فليس بأيديهم شىء.

ثم يأتيه من وجه سابع ويقول: لا حاجة لك إلى هذا العمل لأنك إن خلقت سعيدًا لم يضرك ترك العمل وإن خلقت شقيًا لم ينفعك فعله، فإن عصمه الله تعالى رده بأن قال: إنما أنا عبد وعلى العبد امتثال الأمر لعبوديته، والرب أعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

ولأنه ينفعنى العمل كيف ما كنت، لأنى إن كنت سعيدًا احتجت إليه لزيادة الثواب، وإن كنت شقيًا فأنا محتاج إليه كى لا ألوم نفسى عل يترك الطاعة التى سبب لاستحقاق الجنة.

على أن الله تعالى لا يعاقبنى على الطاعة بكل حال ولا يضرنى، مع إنى إن دخلت النار وأنا مطيع أحب إلى من أن أدخلها وأنا عاص، فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب، فمن

لقى الله تعالى على الإيمان والطاعة لن يدخل النار البتة، ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعده الصادق.

ولهذا أخبر الله تعالى عن السعداء إذ قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾(١).

فتيقظ رحمك الله تعالى فإن الأمر كما ترى وتسمع، فقس عليه سائر الأفعال والأحوال، واستعن بالله تعالى، واستعذ به فإن الأمر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصل على محمد وآله وصحبه أجمعين.

فلا بد أن يكون العبد فى الدنيا على علم وعمل، وأنهما جوهران لأجلهما كان كل ما كان، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢).

والحكمة: إتقان العمل على مقتضى العلم، والحكماء: العلماء العمال، والعالم بغير عمل والعامل بغير علم ليسا من الحكماء، ولا يسمى حكيما، ويجوز أن يراد بها الورع كما فسر النبى ﷺ الحكمة فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٣).

على ما رواه أنس فى سورة البقرة.

وقد قال ﷺ: «من تمسك بالورع والزهد بلغاه كل درجة رفيعة، ومن تخلى منهما لقينى يوم القيامة على غير ملتى»(٤).

---

(١) سورة الزمر: آية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٩ .

(٣) سورة البقرة: آية ٢٦٩ .

(٤) أخرجه أبو شجاع الديلمى فى الفردوس (١/ ٢٠٥).

وإن من العلماء من جعل الحكمة اسمًا لاستكمال النفس البشرية فى قوتها النظرية فقط وهو أن يخرج من القوة إلى الفعل فى الإدراكات التصورية والتصديقية بحسب الطاقة البشرية.

ومنهم من جعلها اسمًا لاستكمال القوة النظرية بالادراكات المذكورة، ولاستكمال القوة العملية باستكمال الملكة التامة على الأفعال الفاصلة المتوسطة بين طرفى الإفراط والتقريط.

والحكمة إما نظرية: وهى التى تتعلق بالأمور النظرية التى إلينا أن نعلمها، وليس إلينا أن نعملها كعلمنا بأن القرآن قديم، وأنه معجز دال على نبوة محمد ﷺ.

وأن العالم محدث وله صانع، وأن الصانع قديم قدير عليم.

وإما عملية: وهى التى يتعلق بالأمور العملية كالعلم بالأعمال والطاعات.

والقرآن العظيم ناطق بحصر الكمالات الإنسانية فيهما، حيث قال حكاية عن الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

فإنه أراد بالمعطوف عليه تكميل القوة النظرية، وبالمعطوف تكميل القوة العملية.

وقال خطابًا لموسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[2].

---

(١) سورة الشعراء: آية ٨٣ .

(٢) سورة طه: الآيتان ١٣-١٤ .

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[١].

فإن كل ذلك إشارة إلى كمال القوة النظرية، ثم قال: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٢]، إشارة إلى كمال القوة العملية.

وكذلك وصايا لقمان عليه السلام لابنه كما لا يخفى للمتأمل.

وقال الله تعالى خطابًا مع حبيبه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣].

وهو إشارة إلى كمال القوة النظرية.

ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٤] وهو إشارة إلى كمال القوة العملية، ويجوز أن يكون الفاء فى قوله: ﴿فَٱعْلَمْ﴾ جواب شرط محذوف، أى إذا علمت ما ذكرنا لك من سعادة المؤمنين، وشقاوة الكافرين.

فاثبت ودم على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله تعالى وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من امن بك بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم، وفى إعادة الجار وحذف المضاف فى قوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إشعار بفرط احتياجهم إلى الغفران وكثرة ذنوبهم.

قال رسول الله ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله

(١) سورة مريم: ٣٠-٣١ .

(٢) سورة مريم: ٣١ .

(٣) (٤) سورة محمد: ١٩ .

تعالى له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»[١].

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال العبد المسلم لا رله إلا الله خرقت السموات حتى تقف بين يدى الله تعالى، فيقول الله تعالى: اسكنى، فتقول: كيف أسكن، ولم تغفر لقائلى؟، فيقول الله تعالى: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له»[٢].

وعن أبى بكر الصديق قال: «استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: أهلكت الناس بالذنوب، فأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون»[٣].

صدق رسول الله ﷺ أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به عباد الله تعالى وليقتدوا به فى ذلك.

عن الإمام عز المزنى قال: سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: «ليغان على قلبى حتى استغفر فى اليوم مائة مرة»[٤].

الغين: التغطية والستر أى يلبس على قلبى ويغطى.

وسبب ذلك ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك، حتى كان يستغفر لهم.

وقيل أنه لما كان يشغله النظر فى أمور المسلمين ومصالحهم حتى

---

(١) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الديلمى فى الفردوس (١/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١/ ١٢٣).

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧/ ٢٧).

يرى أنه قد شغل بذلك، وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفعغ مقام مما كان هو فيه، وهو المتفرد بربه تعالى وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء سواه، فلهذا السبب كان ﷺ يستغفر الله تعالى، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى السماء فإنه كان هذا الشغل والهم يغشى قلبه ﷺ ويغطيه من غيره، وكان يستغفر الله تعالى منه.

وقيل هذا الغين هو السكينة التى يغشى قلبه ﷺ، واستغاره منها إظهار العبودية والافتقار إلى الله تعالى.

وقيل إن المراد به والغفلات من الذكر الذى كان شأنه ﷺ الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه.

وقال الحارث: «خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال، وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى».

وقيل يحتمل أن يكون هذا الغين من حالة حسنة وإعظام يغشى القلب، ويكون استغفاره شكرًا، كما قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1].

وقيل فى معنى الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[2]؛ أى لذنوب أهل بيتك، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى من غير أهل بيتك.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٤/ ١٨٣٠).

(٢) سورة محمد: آية ١٩ .

وقيل هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيه ﷺ أن يستغفر لذنوبهم، وهو الشفيع المجاب فيهم وبالحكمة جاء الرسول ﷺ، وبها دعلى الخلق.

كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[١].

فينبغى للواعظين أن يكونوا على الحكمة ويتكلموا بالخوف والرجاء، كما قال فى البزازية: «ولا بأس بالجلوس للوعظ إذا أراد به وجه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وكان ابن مسعود يذكر كل عشية خميس، وكان يدعو بدعوات، ويتكلم بالخوف والرجاء، وكان لا يجعل كله خوفًا، ولا يجعل كله رجاء»[٣].

وقال الرستغفنى رح: «ينبغى أن يتكلم بالرحمة والرجاء، لقوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»[٤]، ولأن من رجع إلى الباب يكون أثبت.

وقال فيه أيضًا: «وتعليم صفة الخالق جل جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين قصدوا الوعظ أن يلقنوا الناس فى مجالسهم ذلك، ويعلموا شرائع الإسلام وخصائص مذهب الحق».

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥ .

(٢) سورة الذاريات: آية ٥٥ .

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط (٨/ ٣١).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (١/ ٣٨).

وفيه أيضًا: «وعلى العالم بمن يدعو الناس إلى خلاف السنة أو ظن منه ذلك أن يعلم الناس بأنه لا يجوز اتباعه ولا الأخذ عنه فعسى يخلط فى أثناء الحق باطلًا، يعتقده العوام حقًا وتعسر إزالته»، وعلى الواعظ أن يحترز من الرياء والسمعة ورفع الصوت.

وفى فتاوى قاضيخان: «رفع الصوت بالذكر حرام».

وقد صح عن ابن مسعود: سمع قومًا اجتمعوا فى المسجد يهللون ويصلون عليه عليه السلام جهرًا فراح إليهم، وقال: «ما عهدنا ذلك على عهد النبى ﷺ، وما أراكم إلا المبتدعين، فما زال يذكر حتى أخرجهم من المسجد».

وقال الإمام الغزالى فى أيها الولد فى حق الواعظ: «وإن ابتليت بهذا العمل احترز عن خصلتين الأولى: عن التكلف فى الكلام بالعبارات والإشارات والطامات والأبيات والأشعار، لأن الله تعالى يبغض المتكلفين.

والمتكلف المتجاوز عن الحد، وهو يدل علي خراب البدن فى غفلة القلب.

ومعنى التذكير أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير نفسه فى خدمة الخالق ومثل ذلك.

والخصلة الثانية: أن لا يكون وعظك وهمتك أن يتغير الخلق فى مجلسك ويظهر الوجد ويشق الثياب ليقال: نعم المجلس هذا، لأن كله ميل إلى الرياء، وهو يتولد من الغفلة بل ينبغى أن يكون عزمك وهمتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى

الطاعة، ومن الحرص إلى الزهد، ومن البخل إلى السخاوة، ومن الغرور إلى التقوى ومثل ذلك.

وهذا طريق الوعظ والنصيحة، وكل واعظ لا يكون هكذا فهو بال على من قال وسمع، بل إنه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم، ويجب عليهم أن يفروا منه لأن ما يفسد هذا القائل من دينهم لا يستطيع بمثله الشيطان.

ومن كانت له يد وقدرة يجب عليه أن يترلهم عن منابر المسلمين، ويمنعه عما باشروا وأنه من جملة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»، والله تعالى أعلم وأحكم.

ومن جملة ما يجب نهى الواعظين عنه ما أفرطوا فى حق هاروت وماروت من أنهما مثلا ملكين بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما.

فهو كما قال القاضى فى تفسيره: «يحكى عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوى البصاير».

وكما قال الإمام الرازى فى تفسيره الكبير: «إن القصة التى ذكروها فى حال هاروت وماروت باطلة من وجوه.

أحدها: أنهم ذكروا فى القصة أن الله تعالى قال لهما: لو ابتليتكما بما ابتلى بنى آدم لعصيتما فقالا: لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك، وهذا منهم تكذيب لله تعالى وتجهيل له، وذلك صريح الكفر.

وثانيها: فى القصة أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة،

وذلك فاسد بل كان الأولى أن يخيرا فى التوبة والعذاب.

والله تعالي خير بينهما من أشرك به طول عمره وبالغ فى إيذاء أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

وثالثها: فى القصة أنهما يعلمان السحر حال كونهما معذبين يدعوان إليه، وهما يعاقبان على المعصية.

ورابعها: أن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئًا، وعظم قدره بحيث أقسم به حيث قال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾[1].

وهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل بنهاية ركاكتها» هذا كلام الإمام.

والحاصل يجب أن يعتقد أن الملائكة عباد الله تعالى العاملون بأمره على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾[2] و﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾[3].

فالأصح أن هاروت ومارت ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة.

وتعذيبهما إنما هو على وجه المعاتبة على الزلة كما يعاتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الزلة والسهو.

وكانا يعظان الناس، ويقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر، فلا كفر فى

---

(١) سورة التكوير: الآيتان ١٥-١٦ .

(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٧ .

(٣) سورة الأنبياء: آية ١٩ .

تعليم كتب السحر بل فى اعتقاده والعمل به» كذا فى شرح العقائد.

فإن قلت: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟

قلت: تأويله لأنهما لا يعتمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام.

فالشقى يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من وصفهما فيكفر بالله تعالى.

والله تعالى امتحن الناس فى ذلك الزمان بالملكين، والسعيد يترك السحر فيبقى على الإيمان.

ويجوز التعليم منهما امتحانًا من الله تعالى ففيه ابتلاء للمتعلم والمعلم، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء فلله تعالى الأمر والحكم، كذا فى البغوى.

اعلم أن السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة، يجرى فيه التعليم والتعلم.

وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة، وبأنه يكون من حسب اقتراح المقترحين، وبأنه يختص ببعض الأمنة والأمكنة والشرائط.

وبأنه قد يتصدى لمعارضة ويبذل جهده فى إتيانه بمثله، وبأن صاحبه ربما يلعن بالفسق ويتصف بالرجس فى الظاهر والباطن، والخزى فى الدنيا والآخرة.

والسحر عند أهل السنة والجماعة جائز ثابت أثره عقلًا ونقلًا، لا كما قالت المعتزلة إنما هو مجرد إرادة ما لا حقيقة له بمنزلة العودة

التى سببه خفة حركة اليد وإخفاء وجه الحيلة فيه.

أما الجواز عقلًا فإمكان الأمر فى نفسه وشمول قدرة الله تعالى فإنه هو الخالق وإنما الساحر فاعل وكاسب وأيضًا فيه إجماع الفقهاء.

وإنما اختلف فى الحكم ومن عمل به كفر ومن تعلمه للاجتناب به لا يكفر، وللعمل به يكفر.

وأوجب الشافعى القصاص على من قتل به.

ويقتل الساحر إن أخذ قبل التوبة فى قول أبى حنيفة وأصحابه، ولا يقتل فى قول بعض الفقهاء، ولكن يحبس إن خيف أن يفسد، وأما ثبوته نقلًا وسمعًا فظاهر.

قال الإمام أبو منصور: «القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ، ويجب البحث عن حقيقته فإن كان فى ذلك رد ما لزم فى شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا».

السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث والذى ليس بكفر وفيه هلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق، ويستوى فيه الذكور والإناث.

ولهذا اختلف قول أبى حنيفة فى الساحرة فلا تقتل بسحر الكفر، وتقتل بسحر السعى في الأرض بالفساد إذا كان سحرها قاتلًا.

وعن النبى ﷺ قال: «حد الساحر الضرب بالسيف»(١).

وتقبل توبته إذا تاب (فإن سحرة فرعون آمنوا فصح إيمانهم)، ومن قال لا تقبل فهو غلط».

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٤/ ٦٠)، والدارقطنى فى سننه (٣/ ١١٤).

والحق ما تقبل توبة الساحر إذا هو بلغ فى التمييز ما هو حجة منه مما ليس بحجة.

ثم النجاة كل النجاة فى الاعتقادات الصادقة على ما عليه أهل السنة والجماعة فى مهمات الدين، فمنها أن يعتقد العبد أن الله تعالى يجازى العباد على أعمالهم، ويثيب على الإيمان والطاعة ويعاقب على الكفر والمعاصى.

ولا يعذب من لا ذنب له لأنه حكيم عادل، ولا يجوز ذلك من الحكيم، ولا يرضى بالكفر والفساد والمعاصى ولا يحبها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[2].

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب وكبائر المعاصى إلا الزلة التى توجد لا عن قصد.

وهم المخلصون، والمخلصون من الأولياء على خطر عظيم، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون فى الإيمان مختلفون فى الشرائع.

والخلق كلهم مستوون فى ذات الإيمان دون العمل، والعمل ليس من الإيمان.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «أهل الجنة لا يتفاخر بعضهم على بعض بالإيمان، ويتفاخرون بالأعمال الصالحات».

---

(١) سورة الزمر: آية ٧.

(٢) سورة البقرة: اية ٢٠٥.

والإيمان دائم، والعمل مؤقت.

ويقبل الإيمان بغير عمل، ولا يقبل العمل بغير إيمان.

وتارك الإيمان كافر، وتارك العمل ليس بكافر.

ويعطى ثواب العمل للخصماء، ولا يعطى ثواب الإيمان.

والله تعالى يأخذ حسنات الظالم يوم القيامة ويعطى المظلومين، ولا يأخذ إيمانه، فإن لم يبق للظالم حسنه يحمل عليه من سيئات المظلومين.

ولا يجوز أن يشهد لأحد من المؤمنين بالجنة إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولمن بشره النبى ﷺ بها، ولا على أحد من المؤمنين بالنار.

ولا يجوز أن يقال الذنب لا يضر مع الإيمان، بل يضر لأنه يثبت به فى الحال جواز المؤاخذة عليه، وعسى أن لا يعفى عنه.

وصانع العالم موجود لأن من نظر فى عجائب الأرض والسماوات وبدائع فطرة الحيوان والنبات يعلم ببديهة عقله.

أن هذا الأمر العجيب، والصنع البديع، والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه ويفرده، ويستدل بوجود المصنوعات على وجود الصانع، قال الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

معرفة الصانع واجبة عقلًا لأنه منعم، وشكر المنعم واجب عقلًا، وشرعًا وعرفًا.

---

(١) سورة إبراهيم: آية ١٠ .

وأول درجة الشكر: معرفة المنعم.

وشكر نعمة المنعم حسن وكفرانها قبيح.

وحسن الأشياء وقبحها يعرف بالعقل، والإقدام على الحسن والامتناع عن القبيح واجب بالعقل.

حتى لو قدر أن الله تعالى لم يبعث نبيًا ولا رسولًا ولم يأمر عباده أن يؤمنوا بالله تعالى لكان ذلك واجبًا عليهم.

ولقد قال أبو حنيفة: «لو أن الله تعالى أخلا العقلاء عن الرسل لكان الإيمان بالله تعالى واجبًا عليهم والكفر به حرامًا عليهم».

ولم يكونوا معذورين فى الجهل به لما يرون من الدلائل والآيات وعجائب خلق الأرض والسموات، و أن الكفار قد عرفوا الله تعالى بعقولهم بعث الرسل وآمنوا به بأنه هو الخالق والبارئ والرزاق والضار والنافع ومدبر الأمور.

كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(١)، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢)، ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾(٣)، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾(٤).

---

(١) سورة لقمان: آية ٢٥ .

(٢) سورة المؤمنون: آية ٨٦ .

(٣) سورة المؤمنون: آية ٨٨ .

(٤) سورة يونس: آية ٣١ .

ثم انظر بماذا كفروا بعد الإيمان بالله تعالى ومعرفته بعقولهم، كما كان أول الواجب على العبد النظر فى الدلائل.

كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾[٢]، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣].

وقد فعلوا ما وجب عليهم من النظر فى الدلائل، إنما كفروا بسبب ما كانوا على خلاف ما جاء به الرسول ﷺ عن الله من الأحكام فيما لا تهوى به أنفسهم وباعتقادهم بما لا يليق لجلال ذاته تعالى وكمال صفاته.

وصانع العالم لا يشبه العالم ولا شيئًا منه لأنه لو كان يشبهه للزم حدوثه أو قدم العالم وكلاهما منفيان لا يقال له ما هو لأن ما هو سؤال عن الجنس ولا جنس له.

ولا يقال له كيف لأن كيف يستخبر به عن الهيئة والحال ولا هيئة ولا حال له.

ولا يقال له أين هو لأن أين يستخبر به عن المكان ولا مكان له.

وهو يستوى على العرش واستواؤه عليه حق وصدق، ونحن نؤمن به ونعتقده على الوجه الذى قاله تعالى وبالمعنى الذى أراده ولا نشتغل بكيفيته.

ولا يقال لم فعل لأن لم فعل يقال لمن فعل لعلة أو حاجة أو ضرورة، وهو مترة عن ذلك.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٨٤.

(٣) سورة يونس: آية ١٠١.

ورفع الأيدى إلى السماء عند الدعاء كالتوجه إلى الكعبة فى الصلاة، ووضع الوجه على الأرض عند السجود، وإن لم يكن الله تعالى فى الكعبة ولا تحت الأرض.

ونزوله إلى السماء الدنيا تفضل ورحمة لا نقلة ولا حركة تعالى الله عن ذلك.

وله يدان هما صفتان، يخلق بهما ما يشاء وهما يد خلق وقدرة وقدرة لا بطش وجارحة تعالى عن ذلك.

وله وجه هو صفته، وهو وجه إكرام وإقبال لا وجه مقابلة ومواجهة تعالى الله عن ذلك.

فلا بد من الإيمان بالمتشابهات كلها، وهو تعالى لا يقدره فهم ولا يصوره وهم ولا يدركه بصر ولا عقل ولا يبلغه علم.

واعلم أن الله تعالى أخذ الميثاق على الذرية، وهو من أراد الله تعالى خلقه من بنى آدم إلى يوم القيامة صلبًا من بعد صلب على حسب ما أراد خلقه، وأعطاهم الحياة والعقل ثم خاطب الكل، أخرجهم من جانبه الأيسر.

فقال هؤلاء: بلى عن كره خوفًا من الله تعالى، وبعضهم كانوا بيضًا أخرجهم من جانبه الأيمن، فقال هؤلاء: بلى عن طوع فكان ذلك منهم إيمانًا، ومن السود ما كان إيمانًا.

فالبيض يخرجون بغير إيمان إلا ما شاء الله تعالى عنهم.

قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى أخرج من صلب آدم الجانب الأيمن ذرية بيضاء ومن الأيسر السوداء، وخاطبهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

بَلَىٰ﴾[١] فالبيض قالوا عن طوع، والسود قالوا عن كره، فقال الله تعالى للبيض: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وقال الله تعالى للسود: هؤلاء فى النار ولا أبالى، ثم أعادهم إلى صلب آدم عليه السلام»[٢].

ونعتقد فى الأمر والنهى فنقول: ما أمر الكافر بالإيمان ليؤمن بالله تعالى، وما نهى عن الكفر لينتهى عنه، بل يب الإيمان عليه ويحرم الكفر عليه، فيترك الإيمان الواجب ويقدم على الكفر المنهى، فيستحق بذلك العقاب، ويتحقق بذلك علمه أنه يترك الإيمان الواجب، ويرتكب الكفر المحظور فيصير بذلك أهلًا للتخليد فى النار، فيتحقق بذلك علمه وإخباره، فإذا كل ذلك لتحقيق علمه وإخباره، فإذا كل ذلك لتحقيق علمه وإرادته.

والعبد لا يصير مجبورًا بعلم الله تعالى فى الأزل وإن كان لا يمكنه الخروج من إرادة الله تعالى.

لأن الله تعالى أراد منه الأفعال الاختيارية من الإيمان والكفر ليستحق به الثواب والعقاب لا الإيمان والكفر.

واعلم أن القدر سر والقضاء ظهور السر على اللوح، والحكم نزوله على العبد، فالحكم يقتضى التسليم، والقضاء يقتضى الرضاء، والقدر يقتضى التفويض.

والقدر فى علم الله تعالى لا وجه عليه اللوح والقلم الاطلاع عليه

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٢ .

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٩/ ١١٦)، ورواه السيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٥٩٨).

فإذا اطلع عليه اللوح يسمى قضاء، وإذا وصل إلى العبد يسمى حكمًا.

والقدر مقدار فى علمه الذى علم وصوله إلى العبد إذا شاء فى وقت معين.

والقدر صفته، والمقدور ملكه.

والقدر ليس بمحدود ولا معدود، وكذلك القضاء والمقضى والحكم والمحكوم.

والقدر ربوبيته من غير ابتداء تصويبًا من الله تعالى، والقضاء إلزام ما صوبه والحكم تعليق ما ألزمه على العبد والله تعالى أعلم.

واعلم أن المذهب المستقيم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى، وفعل الخير والشر من العبد.

والعبد مختار فى فعله اختيار تمييز وتحصيل لا اختيار مشية وقدرة.

والعبد مخاطب بمراعاة الأمر والنهى، وبالنظر إلى القضاء والقدر فيحصل له الخوف والرجاء والاجتهاد والرغبة.

وهو غير مسؤول فى جانب القضاء والقدر، بل مسؤول فى جانب الأمر والنهى للثواب والعقاب.

وليس للعبد أن يقول عاذرًا لنفسه: بأن القضاء والقدر هكذا جرى على فما ذنبى؟

بل العبد ملزوم بمراعاة الأمر والنهى، فيقال له: إنك سلمت لله تعالى الربوبية وصدقته بأن القضاء والقدر له فهلا سلمت الأمر والنهى

فكما علمت القضاء والقدر منه ربوبية فكذلك الأمر والنهى.

واعلم أن كل عبد اهتدى ورشد فمن الله تعالى فضل، وكل من خذل وحرم فمن الله تعالى عدل، وصفة الله تعالى الفضل والعدل فمن أعطاه الهدى فقد عامله بالفضل، ومن حرمه فقد عامله بالعدل.

ولا يوصف بالجور والخطأ لأنهما يظهران من المأمور لا من الآمر، فمنع التوفيق ليس بعذر للعبد لأنه عادل فى منعه، مفضل فى إعطائه، فالكل منه وإليه وليس للعبد إعراض ولا منه مهرب.

فينبغى للعبد أن يرضى بجميع ما قضى الله تعالى عله وقدره، ويلزم طريق الصبر والتسليم والتفويض، ولا يخوض فى قضاء الله تعالى وقدره بفكر أو وسوسة أو مقال.

فإن الله تعالى أخفى علم القدر عن عباده ونهاهم عن مرامه، ومنعهم عن الاعتراض عليه والسؤال عنه، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1].

وقال النبى ﷺ: «لما خلق الله تعالى الخلق جعل طباعهم فى النهى متحركة وفى الأمر ساكنة وأمرهم أن يسكنوا على المتحرك وأن يتحركوا بالساكن».

ولا يجدوا إلى ذلك سبيلًا إلا بحول الله تعالى وقوته.

وخالفنا فى هذه المسألة القدرى والجبرى، فقال القدرى: الخير والشر فعل العبد، وليس لله تعالى فيه صنع.

وقال الجبرى: الخير والشر من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٣ .

والدليل على بطلان ما قالا ما ذكرنا من الدليل.

واعلم أن الله تعالى أنعم على المؤمنين بالمعرفة والإيمان، وهل أنعم عليهم بالشدائد والمحن؟

وما أنعم على الكفار بالمعرفة والإيمان، وهل أنعم عليهم بالمنافع والملاذ العاجلة أم لا؟

والجملة فى ذلك أن كل نفع وضر يوصل العبد إلى الطاعات ونعم الأبد، فهو نعمة ظاهرًا وباطنًا وكل ما لا يوصله إلى ذلك أو يوصله إلى اكتساب المعاصى فهو نعمة فى الظاهر ولا نعمة فى الباطن.

واعلم بأن الله تعالى لو أدخل جميع الخلق الجنة من غير طاعة يكون ذلك حسنًا وحكمة بالغة، ولو أدخلهم النار من غير معصية، هل يحسن ذلك فى الحكمة؟

قال بعض أهل السنة يكون حسنًا وحكمة، وقال مشايخنا لا يحسن ذلك فى الحكمة لأنه جمع بين العدو والولى فى النار من غير ذنب صادر من الولى.

واعلم أن نفخ الصور حق، قيل يكون نفختين نفخة للهلاك ونفخة للبعث، وقيل ثلاث ونفخة للفزع، وهو الصحيح.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

(١) سورة النمل: آية ٨٧ .

﴿ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[١].

واعلم بأن البعث بعد الموت حق والتصديق به واجب وأن الله تعالى يحى الخلق بعد فنائهم، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٢].

يجمع الخلائق فى عرصات القيامة ويوقفون خمسين موقفًا فى كل موقف ألف سنة، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٣].

وقيل أربعين سنة يقفون على قبورهم حيارى سكارى، أى مثل السكارى ينظرون أمر الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[٤] الآية.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٥]، ثم بعد أربعين سنة يؤمرون بالحساب فيحضرون إلى موقف الحساب ويعرضون على ربهم ويسألون عن أعمالهم الخير والشر ويحاسبون على أفعالهم وأقوالهم قليلًا كان أو كثيرًا فالله تعالى يقضى بينهم بالحق وينصف من الظالم ويظهر الفضائح والقبائح.

---

(١) سورة الزمر: آية ٦٨ .

(٢) سورة الحج: الآيتان ٦-٧ .

(٣) سورة المعارج: الآيتان ٤-٦.

(٤) سورة الحج: الآية ٢ .

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨ .

كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[١].

والناس متفاوتون فى ذلك إلى مناقش فى الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وإلى من يدخل النار بغير حساب.

وبعد ذلك كله فلا بد من بيان ما يكون عيش المؤمن فى الدنيا على أى حال، حتى يكون فى النجاة يوم القيامة.

فصل: اعلم أن العبد ينبغى أن يكون بين الخوف والرجاء فى كل الأحوال إلا أن يموت فلا بد فيه من ذكر ما ذكره الغزالى من أن السير المستقيم لا يحصل فى طريق العبادة إلا باستشعار الخوف والرجاء.

أما الخوف فإنما يجب التزامه لأمرين:

أحدهما: للزجر عن المعاصى فإن هذه النفس أمارة بالسوء ميالة إلى الشر طماحة إلى الفتنة، ولا تنتهى عن ذلك إلا بتخويف عظيم، وتهديد بالغ.

الثانى: لئلا يعجب بالعبادة فتهلك، بل قلع النفس بالذم والعيب والنقص والأسواء والأوزار واللاتى فيها ضروب الإحضار.

وأما الرجاء فإنما يجب استشعاره لأمرين:

أحدهما: للزجر عن المعاصى فإن هذه النفس أمارة بالسوء ميالة إلى الشر طماحة إلى الفتنة، ولا تنتهى عن ذل إلا بتخويف عظيم، وتهديد بالغ.

والثانى: لئلا يعجب بالعبادة فتهلك، بل قلع النفس بالذم والعيب

---

(١) سورة الطارق: الآية ٩ .

والنقص والأسواء والأوزار واللاتى فيها ضروب الإحضار.

وأما الرجاء فإنما يجب استشعاره لأمرين:

أحدهما: للبعث عن الطاعة وذلك أن الخير ثقيل، والشيطان زاجر، والهوى إلى ضده داع، فلا تنبعث النفس للخير، ولا ترغب فيه حقه، ولا تهز له إلا بالرجاء القوى فى رحمة الله تعالى، والترغيب فى حسن ثوابه وكريم أجره.

والثانى: ليهون احتمال الشدائد والمشقات، فإن أهل الاجتهاد إذا ذكروا الجنة فى طيب مقيلها وأنواع نعيمها هان عليهم ما احتملوه من تعب فى عبادة، أوفاتهم فى الدنيا من لذة ونعمة أو ما نالهم من ضر ومشقة.

فينبغى للعبد الراجى مغفرة الله تعالى أن يجتهد فى العمل كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[1].

وقال لقمان لابنه: «ارج الله تعالى رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله تعالى خوفًا لا تيأس فيه من رحمته».

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

فالخوف والرجاء وصفان للإيمان كالجناحين للطائر، قيل: العبد إذا كان صحيحًا قويًا فالخوف أولى إن كان مريضًا ضعيفًا لا سيما إذا شرف على الآخرة فالرجاء أولى.

---

(١) سورة الكهف: آية ١١٠ .

(٢) سورة يوسف: آية ٨٧ .

عن النبى ﷺ: «ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب عبد المسلم عند الموت إلا أعطاه ما يرجوه ويصرف عنه ما يخاف»[١].

قالوا الفرق بين الرجاء والأمنية: إن الرجاء يكون على الأصل، والتمنى لا يكون على الأصل، مثاله من زرع واجتهد وجمع بزرا يقول: أرجو أن ثم يحصل لى مائة فقير فذلك هو الرجاء، والآخر لا يزرع ولا يعمل يوما يومًا فذهب ونام وغفل سنة.

فإذا جاء وقت البيادر يقول: أرجو أن يحصل لى مائة فقير، فتقول له: من أين لك هذا الرجاء وإنما ذلك أمنية بلا أصل؟

فكذلك العبد إذا اجتهد فى عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله تعالى يقول: أرجو أن يتقبل هذا اليسير، ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل وأحسن الظن فهذا منه رجاء.

وأما من غفل وترك الطاعات وارتكب المعاصى ولا يبالى بسخط ولا برضاء ووعده ووعيده.

ثم يقول: أرجو من الله تعالى الجنة والنجاة من النار فذلك منه أمنية لا حاصل تحته.

ومن ذلك قال النبى ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من يتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى المغفرة»[٢].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد فى مسنده (١/ ٤٠٤)، وابن ماجه فى سننه (٢/ ١٤٢٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١/ ٥٦)، وأحمد فى مسنده (٤/ ١٢٤).

وقال الحسن البصرى: «إن قومًا ألهتهم أمنيتهم، أملًا فى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول: إنى أحسن الظن بربى وكذب إذ لوا حسن الظن بربه لأحسن العمل له، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١)».

وعن جعفر الضيفى قال: «رأيت أبا مسرة العابد وقد بدت أضلاه من الاجتهاد، قلت: يرحمك الله تعالى إن رحمة الله تعالى واسعة، فغضب وقال: هل رأيت منى ما يدل على القنوط؟.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وروى أن رسول الله ﷺ كان يصلى حتى تورمت قدماه، قيل له فى ذلك، أتفعل وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وا تأخر؟

قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

فلا بد للعبد فى مقام الخوف والرجاء من منع الشهوات وحمل أثقال العبادات وطلب الإعانة من الله تعالى والتضرع إليه فعليه بتقوى الله تعالى.

اعلم أن التقوى كتر عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى التقوى.

وتأمل فى القرآن من ذكرها كم علق بها من خير؟

---

(١) سورة فصلت: آية ٢٣ .

وكم عد عليها من ثواب؟

وكم أضاف إليها من سعادة؟

وأنا أعد لك من جملتها:

أحدها: المدحة والثناء، قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(١).

والثاني: الحفظ والحراسة من الأعداء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾(٢).

والثالث: التأييد والنصرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾(٣).

وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

والرابع: النجاة من الشدائد والرزق من الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٥).

والخامس: إصلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٦).

والسادس: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٦ .

(٢) سورة آل عمران: آية ١٢٠ .

(٣) سورة النحل: آية ١٢٨ .

(٤) سورة البقرة: آية ١٩٤ .

(٥) سورة الطلاق: آية ٣ .

(٦) سورة الأحزاب: آية ٧٠ .

﴿ذُنُوبَكُمْ﴾[١].

والسابع: محبة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

والثامن: القبول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

والتاسع: الإكرام والإعزاز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤].

والعاشر: البشارة عند الموت، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[٥].

والحادى عشر: النجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾[٦]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾[٧].

والثانى عشر: الخلود فى الجنة، قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧١ .

(٢) سورة التوبة: ٤ .

(٣) سورة المائدة: آية ٢٧ .

(٤) سورة الحجرات: آية ١٣ .

(٥) سورة يونس: آية ٦٣ .

(٦) سورة مريم: آية ٧٢ .

(٧) سورة الليل: آية ١٧ .

(٨) سورة آل عمران: آية ١٣٣ .

وهذا كله خير وسعادة الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك منها أيها العاقل.

ومدار العبادة على ثلاثة أصول.

أحدها: التوفيق والتأييد أولا، وهو للمتقين كما قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

والثانى: إصلاح العمل، وإتمام التقصير، وهو للمتقين، كما قال الله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٢).

والثالث: قبول العلم، وهو للمتقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

وأبدأ من المدارات الثلاثة بالتوفيق أولًا حتى تعمل، ثم الإصلاح للتقصير حتى يتم، ثم القبول إذا تم.

ثم تأمل أيها العاقل أصلًا واحدًا وهو هب أنك قد تعبت جميع عمرك فى العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت.

أليس الشأن كله فى القبول.

وقد علمت أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٤)، فرجع الأمر كله إلى التقوى.

ثم أردت إتمام الرسالة بمودة القربى ومحبة الصحابة رضوان الله

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٤ .

(٢) سورة الأحزاب: آية ٧١ .

(٣) سورة المائدة: آية ٢٧ .

(٤) سورة المائدة: آية ٢٧ .

تعالى عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١].

روى أنها لما نزلت «قيل: يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء الذين وجبت عليها، قال ﷺ: على وفاطمة وابناها»[٢].

ويدل عليه ما روى عن على: «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لى فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة، أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا»[٣].

وعن النبى ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى»[٤].

وروى أن الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا.

فقال عباس أو ابن عباس: «لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم فى مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله تعالى بى؟

فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال: ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله تعالى بى؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

---

(١) سورة الشورى: آية ٢٣ .

(٢) أخرجه ابن حنبل فى فضائل الصحابة (٢/ ٦٦٩).

(٣) أخرجه ابن حنبل فى فضائل الصحابة (٢/ ٦٢٤).

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره (١٦/ ٢٢).

قال: أفلا تحبوننى؟

قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

قال ﷺ: ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك!

أو لم يكذبوك فصدقناك!

أو لم يخذلوك فنصرناك!

قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، فقالوا: أموالنا وما فى أيدينا لله تعالى ولرسوله، فنزلت الآية»[1].

وقال ﷺ: «ألا من مات على حب آل محمد ﷺ مات شهيدًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورًا، ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان.

ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة.

كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٥٧).

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»[1].

والأحاديث كثيرة جدًا فطوبى لمن يحبهم.

اللهم إختمنا على حب آل محمد ﷺ وعلى بغض على مبغضى آل محمد ﷺ.

وأما الآيات والأخبار فى فضائل الصحابة، فكثيرًا أيضًا منها:

ما قال الله تعالى فى أبى بكر: «﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ -أى كفار مكة حين أرادوا قتله- ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ -أى هو أحد الأثنين، والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ، والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه- ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾.

وهو ثقب فى جبل ثور بمكة- ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ -أى لأبى بكر- ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ - قيل جاء المشركين فأبصرهم أبو بكر وخاف على نفس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أقتل فأنا رجل واحد، وإن قتلت هلكت الأمة ويذهب هذا الدين -أى دين الإسلام-.

فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ -بالرعاية والحفظ- ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾-أى طمأنينته- ﴿عَلَيْهِ﴾ -أى على أبو بكر- ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ - أى قوم النبى ﷺ- ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ -وهى الملائكة الذين صرفوا الكفار عن رؤيتها فى الغار-.

---

(١) ذكره الزمخشرى فى تفسيره.

وذلك حين قصد أهل مكة قتل النبيﷺ، فهاجر من مكة إلى المدينة، فجاء بيت أبى بكر فقال: مالك يا رسول الله بأبى وأمى أنت؟

فقال: ما أرى قريشًا إلا قاصدين قتلى.

فقال أبو بكر: دمى دونك ونفسى دون نفسك.

فقال النبى ﷺ: أذن لى بالخروج.

فقال أبو بكر: إن عندى بعيرين، فخذ أحدهما واركبه.

فقال: لا آخذه إلا بالثمن، وهى ناقة قصوى، فركبا وأتيا إلى الغار بأسفل مكة، وقيل أتيا إليه بالمشى فلما انتهيا إلى الغار، قال: مكانك يا رسول الله حتى استبرأ الغار، فدخل فاستبرءه.

ثم قال: انزل يا رسول الله فترل، فأرسل الله تعالى العنكبوت حتى نسجت على فم الغار، وأرسل الله تعالى زوجًا من حمامة فباضت من أسفلها فلما انتهى الكفار إلى الغار فطارت الحمامة، وقالوا لو دخلها أحد لا ينسج العنكبوت، ولا تسكن الحمامة فيها فانصرفوا.

فلما كان النبى ﷺ أطيب نام على حجر أبى بكر فزخرجت حية رأسها فى ثقب فأدخل قدمه فيه وسواها بقدمه، فلدغت تلك الحية قدم أبى بكر ولم يتحركه عن مكانه حتى تقطر دموعه على خده من ألمه فباحا الله تعالى ملائكته: ألا ترون إلى الصديق يحمل الأذى لأجل حبيبى».

وقال حسين بن الفضل: «من قال أن أبا بكر لم يكن صاحب

رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن، وفى سائر الصحابة إذا أنكروا يكون مبتدع لا يكون كافرًا».

قال النبى ﷺ: «ما رأيت شيئًا يوم أسرى بى إلى السماء إلا مكتوب على ورقها لا إله إلا الله محمد رسول الله وأبو بكر صاحبه»(١).

وكان لا يفارقه ﷺ.

وفى الخبر: «أن الله تعالى أعطى أبا بكر ثواب من آمن بالله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وأعطاه أيضًا ثواب من يؤمن بى إلى أن تقوم الساعة»(٢).

كما قال النبى ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»(٣).

فإن أبا بكر الصديق سنة أولًا لأنه آمن بالله تعالى وبرسوله فلذلك كان له ثواب من آمن بالله تعالى ورسوله.

فلما انتقل أبو بكر كان عمر خليفة.

قال ابن عباس: «ما فى السماء إلا يوقر عمر -أى يعظمه-، ولا فى الأرض شيطان إلا ويفر من عمر»(٤).

قال النبى ﷺ: «يا عمر بن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك

---

(١) أخرجه ابن حبان فى المجروحين (١/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه ابن حنبل فى فضائل الصحابة (١/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (٤/ ٢٠٥٩).

(٤) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال (٦/ ٣٤٩).

الشيطان سالكًا فجًا -أى طريقًا واسعًا- قط إلا سلك فجًا غير فجك»[١].

وفى الخبر «لو كان بعدى نبى لكنت أنت يا عمر»[٢].

وقيل لما دنا وفاته بعث ابنه عبد الله إلى عائشة، قل لها يقرأ عمر عليك السلام، وقل لها استأذن عمر أن يدفن مع صاحبه، فقال: كنت أريد لنفسى ولأثريه اليوم على نفسى.

فجاء عبد الله فأخبره بإذنها، فقال: الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملونى إلى رسول الله ﷺ فقولوا: استأذن عمر، فإن أذن لى فأدخلونى، وإن ردنى فردونى إلى مقابر المسلمين»[٣].

فلما انتقل عمر كان عثمان خليفة، قال النبى ﷺ فى فضل عثمان:

«إنه رفيقى، إنه أشبه خلقًا لإبراهيم عليه السلام، فإن عثمان ليضىء كما تضىء الشمس لأهل الأرض».

وقال: «إن الملائكة لتستحى منه».

وروى أنه ﷺ كان جالسًا مع بعض أصحابه مادًا رجليه، فدخل عثمان، فجمع النبى ﷺ رجليه، فقيل له فى ذلك، فقال: كيف لا أستحى منه وملائكة السماء تستحيون منه»[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣/ ١١٩٩).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ١٥٤)، وفى فضائل الصحابة (١/ ٣٤٦، ٤٣٦).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣/ ١٣٥٥).

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه (٤/ ١٨٦٦).

قال عبد الله بن سلام: «أتيت أخى عثمان وأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبًا يا أخى رأيت النبى ﷺ فى هذه الساعة، فقال: يا عثمان حصرك؟

قلت: نعم.

قال: أعطشوك؟

قلت: نعم، قال: فأدلى دلوه فيه ماء فشرب حتى رويت، وقال إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندى، فاخترت أن أفطره عنده، فقتل ذلك اليوم»[1].

فلما قتل عثمان كان على خليفة، وله فضائل منها:

قال ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام فى علمه، وإلى نوح فى فهمه، وإلى إبراهيم فى حلمه، فلينظر إلى على».

وقال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلى بابها».

ويقال سمع رجل هذا الحديث فقال: أسأله عن شىء لم يخلقه تعالى، فقال القرآن، وعما لا يعلمه الله تعالى، فقال: لا يعلم لنفسه شريكا، وعما ليس عنده، فقال: الظلم، وعما ليس له، فقال: الافتقار، وعن شىء كله فم، فقال: النار، وعن شىء عين، فقال: الشمس، وعن شىء كله رجل فقال: الماء.

وعن شىء كله جناح، فقال: الريح، وعن رجل لا عشيرة له: فقال: آدم عليه السلام».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ابن حنبل فى فضائل الصحابة (١/ ٤٨٩).

وقال: ابن عباس قال: جبرائيل عليه السلام لما خلقنى الله تعالى فحبسنى بمائتى عشر ألف سنة، ثم قال: يا جبرائيل من أنا؟

قلت: الله الواحد القهار.

فقلت: إلهى هل خلقت قبلى؟

قال الله تعالى: انظر إلى أمامك فإذا بنور ساطع، وخلف ذلك النور نور، وقدامه نور، ويمينه نور، وشماله نور.

فقلت: يا رب ما ذلك النور؟ فقال: هو نور محمد: ومن محمد يا رب؟، قال: هو الذى خلقتك لأجل رسالته.

فقلت: ربى وما تلك الأنوار التى من جهاته الأربعة؟

فقال: هى نور أصحابه الأربعة.

وأما ثواب من يحبهم، فقد روى عن عبد الله بن مسعود قال النبى ﷺ: «حب أبى بكر يوجب الغفران، وحب عمر يمحو العصيان، وحب عثمان يقوى الإيمان، وحب على يخمد النيران»[1].

وروى عن ابن مسعود قال: قال النبى ﷺ: «أبو بكر الصديق تاج الإسلام، وعمر بن الخطاب حلة الإسلام، وعثمان بن عفان حلى الإسلام، وعلى بن أبى طالب طيب الإسلام، فمن أراد أن يتوج بتاج الإسلام.

وأن يتحلل بحلل الإسلام، وأن يتزين بزينة الإسلام، وأن يتطيب بطيب الإسلام فليحب أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، فمثلهم كمثل الغيث حيث سقط نفع» رواه صاحب الفردوس[2].

---

(١) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (٢/ ١٤٢).

(٢) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (١/ ٤٣٩).

وروى عن على قال: قال النبى ﷺ: «أثبتكم على الصراط أشدكم حبًا لأهل بيتى وأصحابى»[١].

وروى عن عبد الله بن عمر قال: قال النبى ﷺ: «إنما فرض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما فرض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج.

فمن أبغض واحد منهم لا صلاة له، ولا صيام له، ولا حج له، فيحشر الله تعالى يوم القيامة فيساق إلى النار» رواه منصور الديلمي[٢].

وقال ﷺ: «مثل حب أبى بكر فى الدين كمثل القراءة فى الصلاة، ومثل حب عمر فيه كمثل الركوع فى الصلاة، ومثل حب عثمان فيه كمثل السجود فى الصلاة، ومثل حب على فيه كمثل التشهد فى الصلاة، فكما لا يتم الصلاة إلا بهذه الأركان الأربعة، فكذلك لا يتم إيمان عبد إلا بحب هؤلاء الأربعة، حبهم إيمان ووفاق، وبعضهم طغيان ونفاق، وحبهم نجاة من النيران وببغضهم هلاك فى النيران، فعلى محبهم رضوان الله تعالى بالقنطار، وعلى مبغضهم لعنة الله تعالى كالأمطار».

وروى عن على قال: «سئلت رسول الله ﷺ عن عظمة العرش، فقال النبى ﷺ: يا على سألت عن أمر عظيم؛ خلق الله تعالى العرش علي ثلاثمائة وستين ألف ساق غلاظ، كل ساق كغلاظ سبع السموات وسبع أرضين.

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (١/ ١٧٣).

تحت كل ساق ثلاثمائة وستين ألف عالم، فى كل عالم ثلاثمائة وستين ألف صحراء، وفى كل صحراء ألف مدينة، فى كل مدينة خلق الله تعالى خلقًا كثيرًا لا يعلم عددهم غير الله تعالى، لا يعرفون آدم خلق ولا إبليس خلق، وقد أوحى الله تعالى إليهم أن يستغفروا لمحب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، فإن ما بين الساق إلى الساق مسيرة ثلثمائة ألف وستون ألف عالم.

وبين كل ساق ثلاثمائة ألف وستون ألف عالم، وكل عالم ثلاثمائة ألف وستون ألف صحراء ثلاثمائة وستون ألف مدينة، فى كل مدينة خلق الله تعالى خلقًا كثيرًا لا يعلم عددهم غير الله تعالى، وقد أوحى الله تعالى إليهم أن يلعنوا من أبغض أبا بكر وعمر وعثمان وعلى».

وروى الحسن البصرى: قال كنت مارًا بين حيطان المدينة فرأيت الحسن والحسين، فسلمت عليهما فقلت: هل عندكما من فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى؟

فقال: الحسن فهل عندك مثل ما عندنا؟

فقلت: حدثانى.

فقالا كنا جلوسا عند أمنا فاطمة الزهرى إذ دخل علينا جدنا رسول الله ﷺ، فقال: يا فاطمة أين على، فقالت: قد توضأ وذهب إلى المسجد فأراد جدنا ﷺ أن يرجع إلى بيت عائشة، فقالت أمنا فاطمة: أتحب عائشة يا رسول الله؟

فقال جدنا ﷺ: أما علمت يا فاطمة أن الأحب إلى من النساء ثلاث أنت وأمك خديجة وعائشة أم المؤمنين.

فقالت أمنا فاطمة: ومن الرجال؟

قال جدنا: أبو بكر وعمر وعثمان.

فبكت أمنا فاطمة، فقالت: أراك يا رسول الله لا تحب عليًا فقال جدنا يا فاطمة إن عليا منى فهل رأيت أحدًا يمدح نفسه، ثم قال: يا فاطمة أنا تبرأت ممن يسب أصحابى وأزواجى.

فقالت أمنا فاطمة: من يجار على ذلك يا رسول الله؟

فقال: جدنا قوم يزعمون أنهم من أمتى وأنا برئ منهم فى الدنيا والآخرة.

فقالت أمنا فاطمة: وأنا منهم بريئة.

ثم أقبل جدنا إلينا، وقال: أما تبرأتما ممن تبرأت منه فاطمة؟

فقلنا: بلى يا رسول الله.

ودخل علينا على والدنا، فقال له رسول الله جدنا: أما تبرأت ممن يسب أصحابى؟

قال: ومن يجار على ذلك يا رسول الله؟

قال: قوم يزعمون أنهم من شيعتك ويسبون أزواجى وأصحابى.

فرفع والدنا على يده وقال: اللهم إنك شاهد ومطلع، ورسولك شاهد أن عليًا برئ ممن يسب أبا بكر وعمر وعثمان.

قال الراوى: فسمعنا هاتفًا يهتف ويقول: وربكم برئ ممن يتبرأ

منهم محمد وعلى وحسن وحسين وفاطمة وسائر أصحابه وأزواجه أجمعين[١].

تمت دامغة المبتدعين وكاشفة بطلان الملحدين بعون الله تعالى الملك المعين.

فى يوم الأربعاء وقت الظهر فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٥٨هـ.

(١) أخرج الشوكانى فى الفوائد (ص: ٣٨٢).